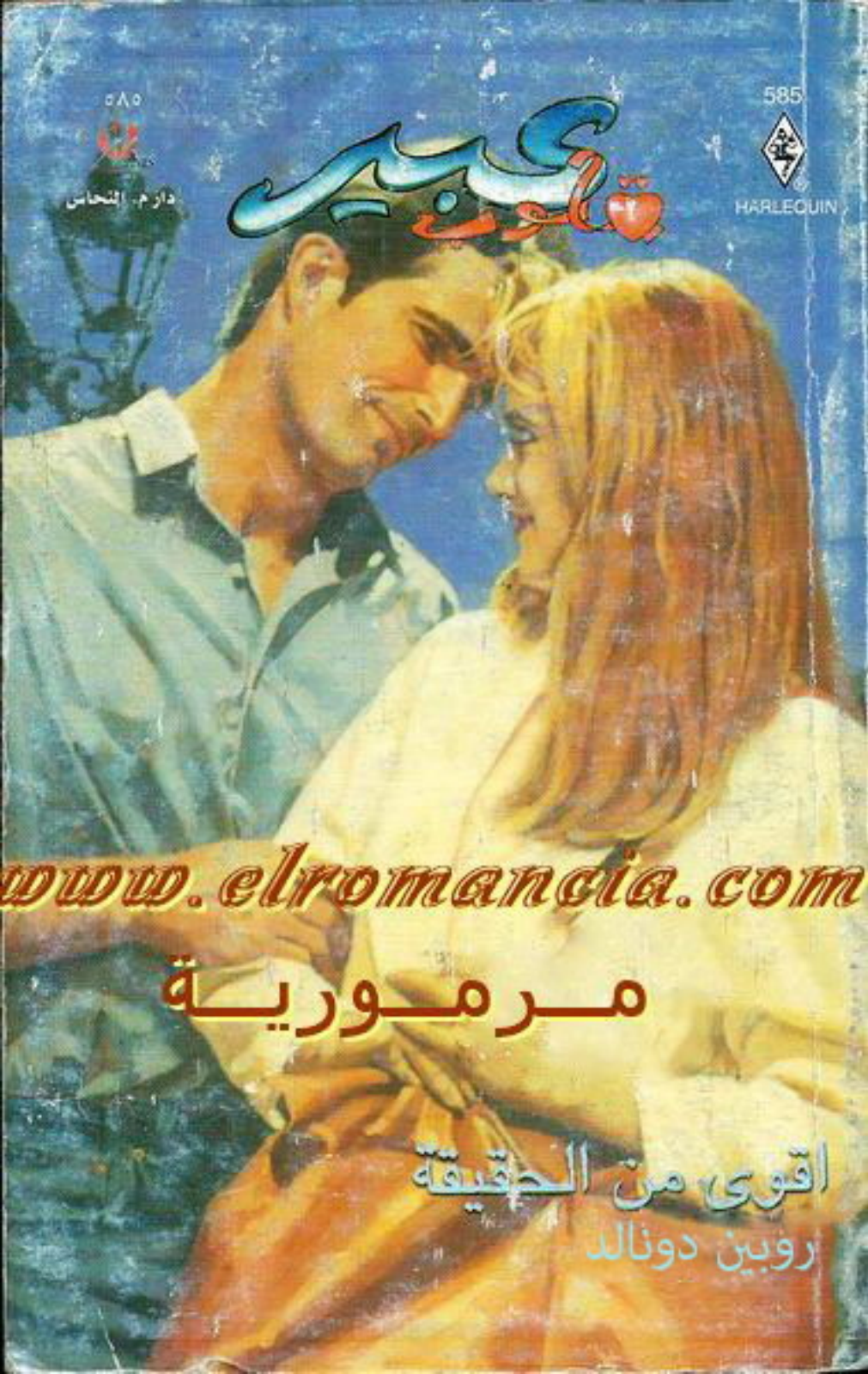
٥٨٥
دارم النحاس
585
HARLEQUIN
www.elromancia.com
مرمورية
اقوى من الحقيقة
روبين دونالد

اقوى من الحقيقة

لا يربح الواثق من نفسه دائماً ... فالقوي ليس باستمرار قوياً على قلبه ... ليو كاريفتون بحار جذاب احبته نساء كثيرات . لكن قلبه بقي حراً حتى لقائه بجاني صدفة . احبته جايني بقوة لكنه صدها بشهامة . وقررت الرحيل بيأس وقلب محطم لا تدري كيف ستتابع حياتها وفي قلبها حب ضائع لا امل فيه .

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

العنوان : اقوى من الحقيقة !

الفصل الاول

لو أتيح لك الصيد في منطقة أواكيبو لوجدت أن المياه الجارية غالباً ما تملأ زورقك بسمك الاسبرط من دون أن يكلفك ذلك كثيراً من الجهد.كانت الهرة السيامية الانيقة المتعجرفة المدعوة شاي تفضل سمك الاسبرط على أي طعام آخر لذلك تجدها برفقة سيدتها جايني باودن تتبعها عن كثب كلما سارت متنزهة على طريق المرفأ.

وذات مرة سمعت جايني بعض السياح يعلقون على رؤيتهما سوياً. كان الوقت باكراً فوصلت أصواتهم إلى مسمعها بوضوح. لم تدع جايني ما سمعته من تعليق يؤذي مشاعرها فلم تظهر أي رد فعل في تصرفاتها تدل على ذلك.ولم يكن هناك أي سبب يدعوهم إلى الاعتقاد أن في مقدورها سماع ما يقولون...ثم شاي هرة رشيقة متأنقة بينما كانت جايني طويلة الذراعين،شعرها مهمل بلون بني يميل إلى الاحمرار تعوزها اللياقة.وكان أولئك السياح يصفونها بالفزاعة في أحاديثهم،مما آلمها جداً. اعتادت

جايني بعد ذلك الحادث،أن تجمع شعرها إلى الوراء وبعيداًعن وجهها.أعجب ذلك أمها لأنه يدل على الترتيب.لكن جايني كانت تعلم أن تصفيف شعرها على هذا النحو لم يكن ملائماً،ولكن ما العمل...فوجهها مليء بالزوايا والعظام...كانت عيناها وحدهما أجمل ما في وجهها،من اللون الكهرماني الغريب،ضيقتان بشكل حجب الأهداب الكاحلة والمستديرة التي كانت تطوقهما.

تخلت جايني عن الاهتمام بمنظرها كتخليها عن السعي في أن تكون الفتاة المثالية التي تتمناها أمها. ولا تلوم جايني أهلها إذا اعتبروها ما يقارب اللغز. أما بانلوب شقيقتها التي تكبرها بثلاث سنوات، فهي جميلة وظريفة،وقد أنجزت سنتين من دراسة الحقوق في جامعة أوكلاند.ومن الأكيد أنها ستنال ما تطمح إليه. كانت بانلوب تجد ما يكفي من الوقت لاتمام دروسها وللتمتع بحياة اجتماعية كاملة.

عندما تكون بيني في البيت فالهاتف يرن باستمرار،لأنها من النوع المرح الودي المبتهج والمليء بالحيوية.أما جايني فأحبت شقيقتها كثيراً،لكنها تفضل نمط عيش مختلف تماماً عن نمط عيش أختها.

كان الصمت سائداً خلال نزهة جايني.صوت طير البحر كان وحده مسموعاً.وجايني تحب هذا الوقت من الصباح اذ تشعر أن آواكيبو ملكها.كل شيء نقي وجامد

تحت أشعة الشمس المشرقة.وهذه الفترة من الصباح قصيرة المدى اذ يستيقظ الناس في آواكيبو باكراً،وتملأ السيارات الطريق،وتعلو أصوات النهار المختلفة والمألوفة. لكن في هذه اللحظة كانت آواكيبو ملكاً لجايني فقط، خطاها على الاسفلت هادئة،ورصيف الطريق غير مفروش بالاسمنت، مما جعل العشب الاخضر الطويل يغطي قدمي جايني بمادة غروية.كانت شاي تجري ورائها مرددة مواء مرتعشاً،ثم فجأة طار من وراء الشجيرات غراب،لمعت أشعة الشمس على منقاره الذهبي،الاملس والمحمل بالديدان.جمدت شاي في مكانها لفترة قصيرة،ثم قررت أن تتجاهل ما رأت.لفتت نظر جايني شجرة رائعة ترتفع في زاوية على ضفة النهر، أزهارها تتفتح بلونها القرمزي وتحيطها شجرات الأوكاليبتس. تنهدت جايني لهذا المنظر الرائع.لقد مضت عليها ست سنوات في نيوزيلاندا لا تتذكر عن وطنها انكلترا إلا القليل ، وتجد أنه من الصعب العثور على أي مكان آخر يوازي جمال آواكيبو.بينما كانت أمها تتشوق الى مكان تكون فيه المناظر أكثر هدوءاً .

فكرت جايني في أن نورث لاند أبعد ما تكون عن الهدوء... فمناظرها تتغير كل عدة أميال...من العشب الأخضر الخصب والشجر الانكليزي،إلى المرتفعات الصخرية المكسوة بالغابات المطرية... ومن القمم البركانية الملساء إلى بقايا المقذوفات البركانية المختلفة اشكالها والمتآكلة.وكان البحر في كل مكان لا يبعد أبداً عن هذا

الساحل الشرقي بمرافئه وجزره وشبه جزره،ومائه الازرق المتلألىء وشواطئه البيضاء الذهبية.أحبته جايني حباً عميقاً يعجز الكلام عن وصفه.كان حوض الزورق يشبه بركة مستديرة من الماء البني الأخضر،على رأسه يسقط كالشلال نهر صغير من فوق سلسلة من الصخور تشكل حدود التيار المائي.عصف الهواء من الجهة الأخرى حيث الاشجار الاستوائية وجلب معه أخيراً النهر ليصب في البحر بعد مسافة خمسة أميال.

كان يزور آواكيبو الكثير من السياح لأنها منطقة رائعة الجمال وذات جذور تاريخية ومناخ شبه استوائي حيث يتوفر حامض الليمون وفاكهة الكيوي وغيرها من بساتين الفاكهة وأسواق الزهور، فاذا كنت في رحلة في يختك متجهاً نحو الشمال تجد البنزين والماء متوفرين على رصيف المرفأ بكثرة ويقع مخزن البقالة على حافة الماء تماماً.

المخزن ما زال مغلقاً في هذه الساعة.وكان يسمع اصوات رجال قادم من بيت الناطور وراء دار وورن مما يدل على أن عائلة فيليبس قداستيقظت من النوم .لقد اصبحت دار وورن متحفاً الآن وباتت الحدائق التي تحيطها مكاناً يتنزه فيه السياح ليتمتعوا بمنظر الأزهار والنباتات التي يرجع أصلها إلى العهد الفيكتوري. كان المكان جميلاً لكن تمدنه لم يرق لذوق جايني فأخذت تتأمل طيور الطاووس التي تندفع بخفة ورقة فوق العشب الأخضر لكنها كانت تفضل طيور البط التي تسبح في الجدول وتغوص باحثة عن فتات الخبز .صحيح أن البط طير عادي وشائع لكنه نشيط وحيوي إلى درجة كبيرة .

يبدو أن هناك يختاً جديداً أتى إلى المرفأ خلال الليل...

كان موصولاً بالرصيف مما يدل على أنه من عمل بحار ماهر .ربما كان ردتومسون إذ غالباً ما كان يتباهى بقدرته على ارساء مركبه حتى لو كان...شبه نائم.لقد أبحر في مركبه القديم ليعود آخر النهار بكمية من السمك للبيع فهكذا يكسب عيشه.تأملت الهرة شاي طيور البحر باهتمام هادىء وهي جاثمة فوق ركام.ابتسمت جايني ثم زودت صنارتها بطعم ورمتها بعيداً عن طرف الرصيف.وتفقد شاي تحفظها لرؤية أول سمكة تظهر على سطح الماء...وبما أن سمك الاسبرط طعامها المفضل فرؤيته تحولها إلى هرة عادية وتفقد غطرستها كارستقراطية صعبة الارضاء.لكن الحظ لم يحالفها اليوم.لم تظهر أي سمكة بعد وجلست جايني بارتياح مدلية ساقيها الطويلتين على الحافة.كانت عيناها تبرقان تحت حاجبين أسودين،وتتأمل المرتفع المواجه لحوض الماء بامعان.يغمرها شعور بالراحة والطمأنينة. أغمضت عينيها ورفعت وجهها نحو الشمس.وعندما فتحتهما من جديد كانت شاي قد اختفت فوقفت جايني وراحت تنظر حولها بقلق، ان شاي هرة شديدة الفضول.ولمحت جايني أثار براثنها على الندى فوق غرفة القيادة في المركب الكبير الذي أتى الى المرفأ منذ فترة.سارت جايني بخفة شديدة فوق الرصيف. اخفضت حتى باتت في مستوى المركب ونادت بصوت منخفض لكنها لم تلق أي جواب.

قالت متذمرة:

«اين انت أيتها الهرة؟»

ثم نادت من جديد لكن دون جدوى.درست جايني الوضع

وهي جالسة على كاحليها...لم يكن مرادها ايقاظ البحارة في المركب وذلك بالصياح على شاي ولكن من الممكن أن تكون شاي دخلت غرفتهم وأيقظتهم بالسير فوق وجوههم،فهذه واحدة من عاداتها السيئة... لقد دخلت المركب بلا شك فخطواتها تركت آثاراً واضحة على الأرض.

غمرت الحيرة جايني وهي تحدق في المركب.ها هي هرتها شاي قد وضعتها في مأزق قد يكون محرجاً.ثم سمعت جايني صوتاً رجالياً أنهى ورطتها وانفتح باب الحجرة على مصراعيه وخرج منه شاب أشقر طويل القامة ووسيم،حاملاً شاي بين ذراعيه.وبينما كانت جايني تنظر بتعجب راحت شاي تربت بخفة ذقن الشاب ثم قفزت من بين ذراعيه على الرصيف مطلقة مواء يدل على الابتهاج.اغتاظت جايني بينما أطلق الشاب ضحكة شبه هازئة ثم قال:

«الهر حيوان لا يعرف الأخلاق ولا المسؤولية.هل من عادتها إيقاظك بالمشي على وجهك؟».

«اني آسفة...».

قالت جايني وهي تحدق في هرتها شاي التي كانت تحرك وجهها غير مبالية بما يجري وأضافت:

«اني آسفة...شاي هرة شديدة الفضول».

فقال بوقار:

«انها مميزة لكنها أنثوية».

كانت عيناه خضراوين تعلوهما أهداب طويلة.بدت عيناه تضحكان لها وكأنهما تشاركانها المزاح.

شعرت جايني باحساس غريب،كان مزيجاً من الانزعاج والسرور.لقد اعتادت رؤية رجال عراة الصدر من قبل لكن

مشاعرها كامرأة تتأثر لأول مرة.كان من الصعب عليها أن تكف عن التحديق في هاتين الكتفين العريضتين السمراوين وهذا الشعر الذي يغطي صدره.وهو واقف يبتسم لها.شعرت جايني بقلق وخجل كأنه أصبح يشكل خطراً عليها ولم يعد ذلك الرجل الظريف الذي أظهر لطفاً ودماثة برغم الطريقة التي استيقظ بها.

قالت جايني متصنعة الهدوء قدر الامكان:

«كل هذا لا يهم شاي...فلا أحد يستطيع أن يجردها من رزانتها.»

«بينما يبدو أنه من السهل احراجك فمن تكون الآنسة...؟».

«جايني باودن».

أبتسم ثم مد يده للتحيه وحين انحنت جايني لترد التحية أمسك بيدها وجذبها إلى ركن المركب.

تلهفت جايني لكنه أحبط دهشتها:

«أنا ثيو كارينغتون وبما أن هرتك أيقظتني من النوم فانك مدينة لي ببعض من وقتك».

اعترضت جايني على مضض:

«من المفروض أن أتابع صيد السمك».

لم يكن مرادها البقاء معه في ركن المركب ولم تكن ترغب في الرحيل أيضاً.

بات الوضع غريباً بالنسبة إلى جايني التي لم تكن ترحب برفقة الجنس الآخر.

أدار رأسه تجاه شاي وعندما أومأت جايني برأسها موافقة قال بهدوء:

«هذا ما تستحقه.انتظري لحظة...».

دامت اللحظة أكثر من دقيقة. كانت جايني تتأمل مقود المركب وفي عينيها علامة ذهول، واحساس غريب يلفها.لقد تملكتهاارادة أقوى منها.لم يرق لها هذا الاحساس،خاصةً أنه كان واضحاً من خلال رد فعلها.

كان ثيو كارينغتون رائعاًوذا ثقة بنفسه ومدركاً لقوته. هذا ما ينتج عن كون الشخص وسيماً...فكرت جايني برغم ادراكها بأنها على خطأ.فلو لم يكن ثيو كارينغتون وسيماً فثقته بنفسه تبقى ذاتها. ان ذلك يرجع الى شخصية الانسان.يبدو ان جايني تفتقد الشخصية والجمال معاً.وبينما كانت تفكر في حسرتها شردت في التفكير في أختها بيني. إن بيني تماثل السيد كارينغتون في حسن المظهر وقوة الشخصية.غير أن جايني تحمل لبيني الكثير من المودة ويبدو أن شعورها يختلف تماماً تجاه ثيو...عندما ظهر ثيو من جديد كان حاملاً فنجانين من القهوة وقد ارتدى قميصاً أخضر. شربت جايني قهوتها وهي ترمقه بنظراتها بين حين وآخر.

ما زال كل شيء هادئاً.أشعة الشمس تلمع فوق مياه البحر فشعرت جايني بالدفء.كان هناك تغريد طير قادم من شجرة الدراق في حديقة وورن.تساءلت جايني إن كان عليها أن تبدأ الحديث بشكل أو بآخر.فالقت نظرة سريعة على ثيو.كان يبتسم ولكن في ابتسامته شيء من السخرية وكأنه يعلم بما يجول في خاطرها،ابتسامته قاسية نوعاً ما.برغم معرفة جايني الضعيفة عن الرجال،كانت ترى بوضوح من خلال عينيها البريئتين أن ثيو يعتبرها مجرد تسلية.ساد

صمت محرج بينهما خاصةً أن جايني تشعر بوجود ثيو بقوة، وكان هذا الشعور غريباً لا تفسير له ،وعجزت جايني عن مقاومته،ثم لتضع حداً لهذا الصمت سألت جايني أول سؤال طرأ على بالها:

«من أين أتيت؟».

«من أوكلاند».

«هل كانت الرحلة مريحة؟».

«لا بأس.لا أعلم بعد،كم سيطول بقائي هنا».

وافتر ثغره عن أسنان بيضاء تلمع وسط وجهه البرونزي. احمر وجه جايني خجلاً.فرفع رأسها بيده قائلاً:

«انك خجول وحساسة جداً يا جايني باودن.كم عندك من العمر؟»

زاد هذا السؤال من شعورها بالنقص أكثر من قبل وقالت بغضب:

«ثمانية عشر عاماً».

ثم أضافت:

«ثمانية عشر فقط».

ابتسم بلؤم وقال:

«من حسن الحظ أني لم اعد في سن المراهقة.وماذا تفعلين،هل تشتغلين أم ما زلت في عطلة الصيف؟»

«أنهيت دروسي منذ يومين».

«والآن؟»

«لا أعلم.»

«اية مهنة...؟»

«لا.انني لا أتقن أية مهنة.فانا الغبية في عائلتنا.»

رفع حاجبيه واستطرد قائلاً:

«أخبريني عن هذه العائلة.هل أنت انكليزية؟»

أجابت مترددة وهي تنظر إليه نظرة حائرة:

«أعتقد ذلك.يمكنك القول انني من أصل انكليزي.»

لم يكن ذلك الرجل الذي يرغب في التحدث إلى فتاة في سن الدراسة.كم له من العمر؟ ٢٩ ؟ربما ٣٠.تبدو عليه الخبرة الواسعة وكأنه عاش حياة مليئة بالحوادث.كان ينظر إليها بحذر منتظراً منها أن تقول شيئاً.

كان التحدث إليه سهلاً بنظر جايني،فهي عادةً متحفظة جداً إلى درجة الخجل لكن الحديث عن أهلها أزال توترها نوعاً ما وبات صوتها دافئاًونقياً.

ورشفت آخر نقطة من قهوتها وهي تقول:

«أتينا إلى هنا منذ ست سنوات.بعدما تقاعد أبي من الجيش كانت صحته سيئة فاقترح عليه الطبيب تغيير المناخ.وبما أن عمتي كانت تعيش في نيوزيلاند شجعتنا على الهجرة.لا أعتقد أن أحداً منا أسف على المجيء إلى هنا».

سألها ثيو:

«من تعنين بقولك...احد منا؟».

«أهلي،أختي بيني التي تكبرني بثلاث سنوات وأخي بول. بول في الثالثة عشرة من عمره،لا أعلم بالضبط ما هو شعوره. ففي الأشهر الثلاث الماضية تضاعف نموه وخشن صوته وظهرت على وجهه لحية».

ابتسم ثيو وقال:

«سوف يأسف بول على ذلك.وما هي مهنة بيني؟».

«ما زالت تكمل دراسة الحقوق في جامعة أوكلاند».

ظهرت على وجهه علامة التعجب ثم قال:

«يبدو أنها آنسة ذكية حقاً».

«وجميلة أيضاً».

وأضافت جايني وقد أغضبتها سخرية صوته:

«بيني تمارس عرض الأزياء أيضاً في وقت الفراغ».

نظر إليها ثيو بدقة قائلاً:

«يبدو لي من صوتك أنك تشعرين بشيء من الحسد.ألا تنظرين إلى نفسك في المرآة يا جاين؟».

بدا أسمها جاين غريباً على شفتيه فلقد اعتادت سماع أسمها جايني.كانت المجاملة خالية من الصدق ومخيبة للأمل. من المؤكد أن ثيو يعتبرها غبية.وضعت فنجان القهوة من يدها ثم همت بالوقوف قائلة:

«لدي ما هو أهم من التأمل في المرآة.ثم علي أن أرحل فأهلي يتساءلون الآن عن سبب غيابي.شكراً على القهوة».

ابتسم ثيو باستهزاء ورد تحية الوداع لا مبالياً.اغتاظت جايني من طريقة توديعه لأنها عاجزة عن تقليدها.

* * *

«ألم تحصلي على أي سمك يا عزيزتي؟».

« كلا ».

نظرت إليها جوي باودن لكنها لم تعلق على الموضوع.

شعرت جايني بارتباك أمها.كيف لها أن تتصرف مثل أختها بيني وهما مختلفتان تماماً.إن ما تتوقعه منها أمها تعتبره جايني بعيداً عن العدالة.وتعتقد جوي باودن أن

جايني يمكنها أن تكون تلك الفتاة المرحة،ذات الشخصية المنطلقة تماماًمثل أختها... اذا حاولت مع قليل من الجهد، برغم اختلاف منظرها الخارجي عن بيني.ان جايني طويلة القامة بينما بيني قصيرة وذات قامة متناسقة. تعلم جايني أنها تفقد الطبع والشخصية كأختها.وبينما جايني تغسل يديها أخذت تتساءل عن مستقبلها.كانت قد غيرت ثيابها وارتدت فستاناً أصر أهلها على أن ترتديه داخل البيت.وقالت جايني لنفسها:المشكلة أنني لا أرغب في العمل.أود لو أستطيع التنزه والصيد طيلة النهار فلو كنت رجلاً مثلاً لاخترت العمل في أحد المراكب الضخمة التي ترسو في المرفأ باستمرار.لكنه أمر مستحيل أن يقبل به أهلي. انهم تقليديون.لقد أذهلهم قرار بيني بأن تصبح محامية لكنهم سرعان ما قبلوا الواقع بعد أيام من المناقشات.فمن الصعب الوقوف في طريق بيني متى قررت .

أما بول فقرر منذ كان عمره ثلاث سنوات أن يصبح طبيباً وما زال قراره جارياً ومن الواضح أن لديه الموهبة الطبية.والدليل على ذلك كان اعتناؤه بالحيوانات ومداواتها في حالة المرض.أما جايني فليست لديها أية موهبة.ان فكرة بقاء جايني في البيت تعجب أمها وحدها بينما تعتبرها جايني فكرة بلا أي معنى أو هدف.ربما اذا اشتغلت ستكره العمل لكنها تكون على الأقل معتمدة على نفسها.والاعتماد على النفس ارادة كل فتاة في نيوزيلاندا.اذا اشتغلت سيكون العمل في متجر لكنها تكره البقاء في الداخل طيلة النهار.لكن ذلك أفضل من كونها معلمة في مدرسة أو

ممرضة في مستشفى كما اقترح والدها.التمريض والتعليم مهنتان لم تكن تملك جايني القوة الكافية لممارستهما.

خلال تناول القهوة قال والد جايني:

«أرى أن يختاًجديداًرسا في المرفأ».

كان يتابع ما يحصل في ركن المركب بواسطة منظار وهذه عادة يمارسها في الصباح والمساء وقد أدت إلى مساعدة السكان أحياناً وذلك بسبب تفقده لبعض المراكب التي كان من المتوقع أن تكون قد رجعت.أدى ذلك إلى تبليغ فرقة النجاة وبدء البحث عن المراكب المفقودة.

واعتبر الكولونيل والد جايني رئيس المرفأ الفخري مما أسعده ومنحه مكانة في المنطقة.

وتابع قوله وهو ينظر إلى ابنته:

«انها سفينة سياحية».

ابتسمت جايني وقالت:

«اسمه ثيو كارينغتون. انه من أوكلاند.لم يمانع في الطريقة التي أيقظته بها شاي عندما مشت على وجهه».

سألت أمها:

«هل هو لطيف؟»

وبذلك تعني هل هو في مستوى يؤهله لزيارتهم؟ تكره جايني هذا السؤال الذي تطرحه أمها كلما أرادت أن تصنف شخصاً لكنها تعلمت مع الزمن أن تخفي غضبها.ليس والدها من النوع المغرور لكنهما متمسكان ببعض المبادىء غير مبالين بشعور أولادهما.

رداً على سؤال أمها هزت جايني كتفيها وقالت:

«لا أعتقد أن وصفه باللطافة يعتبر مناسباً.لكن اذا كنت تعنين هل هو ملائم لزيارتنا،فالجواب نعم.يبدو من كلامه أنه متعلم.لكن مركبه لم يكلف قرشاً.»

أجابت جوي بهدوء:

«جايني،ليس للمال أية أهمية.»

عادت جايني إلى طاولة الطعام لتكمل عشاءها وهي تفكر بما قالته أمها.

قال والدها متفحصاً ركن المركب:

«يبدو أنه من تصميم حداد. يمكن معرفة هذا الأمر بسهولة فالسفينة المصممة على يد حداد تعوم على الماء بطريقة رائعة.وهذا القوس...»

وراح يتحدث عن أمور تقنية يشاركه في فهمها بول فقط. كانت جايني تأكل قطعة من الخبز المحمص.كانت السفينة بالنسبة إليها جزءاً من لوحة رائعة الجمال.مما ترك في قلبها ألماً مجهولاً.انه الشعور نفسه الذي حاول والدها أن يعبر عنه بلا شك لكنه وبول منسجمان كلياًفي عالم يعرفان وحدهما لغته،أما هي ففضلت أن تشرد في التفكير بتوروا وهي كلمة بلغة الماوري،سكان نيوزيلاندا الأصليين، تعني القطرس المتجول وهذا اسم السفينة. لكن وجه ثيو بجماله ومكره كان لا يفارق مخيلتها.لقد منعها حتى من التفكير في مستقبلها القاتم الذي كانت تنوي أن تعطيه مزيداً من التفكير. وبدلاًمن ذلك،وجدت نفسها تتخيل أنها تملك سفينة مثل توروا تعبر فيها البحر إلى أي مكان تشاء غير مبالية بكسب عيشها. من المؤكد أن ثيو كارينغتون يتقاضى مدخولاً لكنه يملك الحرية أيضاً.هذا ما تحسده عليه

جايني.أما هي فعليها أن ترتب غرف النوم وتنفض الغبار وتنشر الغسيل. ارتفعت حرارة الطقس حتى وصلت تقريباًإلى الدرجة نفسها التي تصل إليها في منتصف فصل الصيف.ازدادت زحمة السير حيث وصل السياح بواسطة الحافلات أو السيارات لزيارة دار وورن وللتجول في حدائقها.وتزاحمت السفن على شاطىء النهر قرب المرفأ للتمون بالوقود والمؤن الأخرى.وتوقفت جايني عن تقليم الورود الجافة لتلقي نظرة على النساء السمراوات اللواتي دخلن مخزن البضائع لشراء حاجاتهن ، أما الأولاد فخلقوا جواً من الضوضاء وكانوا يرمون بعضاً من كوز البوظة لطير البط التي تقبلها بشكر بينما رفضها الطاووس بازدراء.راق لجايني جو العطلة هذا بضوضائه وغبطته وهي التي كانت تتلهف أيضاً الىصمت الصباح وهدوئه.

« جايني!»

جعلها نداء أمها تتابع تقليم الورود الجافة.

«جايني أين بول؟».

«أنه في البركة مع أبي»

«آه...»

ساد الصمت بضع لحظات ثم ظهرت أمها على الشرفة وهي ترفع شعرها عن وجهها:

«كنت أريد منه جز العشب في الحديقة خلف البيت.»

قالت باضطراب:

«ربما من الأفضل تأجيل هذا العمل الى وقت تكون فيه الحرارة ألطف.»

أومأت جايني برأسها.ما زالت أمها تجد الصيف في

آواكيبو غير محتمل خاصة في وقت كهذا اذ تريد توضيب كل شيء قبل رجوع بيني إلى البيت.من المنتظر أن تعود بيني في اليوم الذي يسبق عيد الميلاد وذلك بعد أسبوعين من التاريخ الحالي ، لكن جوي تحتاج الوقت كله لاعداد الترتيبات اللازمة،وفي المستوى الذي تريده. غمر جايني شعور بالمودة تجاه أمها فاتجهت نحوها ووضعت ذراعها حول كتفيها ثم قالت:

«أجلسي أنت وسأحضر لك شراباً من عصير الليمون الحامض. يبدو عليك قلة النوم ما بك؟»

ابتسمت جوي وأجابت:

«هل يبدو علي التعب؟ لقد مرت علي عدة ليال بيضاء. أريد أعداد كل الترتيبات اللازمة قبل الميلاد.جايني!أستحضرين حفلة نادي الدراما بمناسبة عيد الميلاد؟»

أجابت جايني محاولة تجنب اقلاق أمها:

«أمي،تعرفين جيداً أن الحفلات لا تروق لي.»

«عزيزتي،كيف لك أن تعرفي ذلك وأنت ترفضين حضور أية حفلة؟كيف لك أن تعلمي الامتيازات الاجتماعية وأنت لا تمارسينها؟كيف تعتقدين أن بيني اكتسبت اتزانها؟ لم يكن ذلك من المكوث في البيت والمطالعة أو من صيد السمك».

ابتسمت جايني وقالت:

«ولدت بيني ومعها كل الامتيازات الاجتماعية.فنحن نختلف تماماً كاختلاف الوردة عن زهرة اذن الفأر.»

قالت جوي:

«لزهرة أذن الفأر سحرها الخاص.»

أجابت جايني:

«ربما أخطأت في التشبيه اذاً.»

ثم أضافت قائلة:

«انني كعشبة على حافة الطريق،طويلة،هزيلة ومنكمشة على نفسها.لا تحسن للزينة وليست لها أية فائدة.أحتاج لكسب المال. لقد طلب مني السيد هارفي قطف الفراولة فهل تسمحين لي؟»

«أعتقد ذلك...»

تنهدت أمها بصوت منخفض ورفعت عينيها لتنظر إلى ابنتها ثم قالت:

«اذا قبلت بحضور حفلة النادي معنا».

ضحكت جايني مقدرة قبول أمها وقالت:

«حسناً فأنت الرابحة، سأحضر لك الشراب الآن».

وعندما أتت جايني بالشراب،دخل والدها الغرفة وأخوها بول وفي صحبتهما ثيو كارينغتون مرتدياً سروالاً قصيراً وقميصاً عادياً.توقعت جايني أن رد فعل أمها لرؤية ثيو على هذا النحو سيكون سلبياً.لكن لشدة دهشتها فإن أمها وقعت تحت سحر ثيو تماماً كما حصل لها هي عندما تقابلا لأول مرة.كان ثيو مسيطراً على الوضع كلياً.كان يلقي بنظراته الساخرة على جايني مما أثار غضبها ،أما أمها فكانت سعيدة بوجوده فرحبت به كل الترحيب.

سألت أمها:

«...وهذه جايني،هل تعرفان بعضكما؟»

أجاب ثيو مداعباً الهرة التي كانت تدور حوله:

«أجل وقد تعرفت على شاي أيضاً».

قالت جوي:

www.elromancia.com

«شاي لا تعرف الخجل. انها هرة ابنتي الأخرى بيني».

«آه...محامية المستقبل».

كان صوته يدل على الاعجاب بينما كانت نظرته هازئة.

شعرت جايني بنفسها أنه لا يعجبها أبداً.فهو مغرور شديد الثقة بنفسه،يتصرف وكأنه في بيته،أحست أن عليها حماية أهلها منه، فنظرت إليه بغضب متحدية أي تعليق يجرؤ على القائه فيما يتعلق بمستقبل بيني أو أي موضوع آخر.

قالت جوي مظهرة فخرها بابنتها:

«أجل فان بيني مجتهدة جداً».

وأضافت:

«من المؤكد أن أمامها مستقبلاً زاهراً».

أجاب باودن باستهزاء:

«أتؤمنين بالنساء البارعات؟»

لكن بيني قررت مستقبلها منذ زمن ولن تدع أحداً يقف في طريقها،بالإضافة إلى ذلك فانها جميلة أيضاً.»

أجاب ثيو بأدب:

«يبدو أنها فتاة مثالية.»

كانت جايني تراقب والدها وهو يقدم الشراب.وجلس الجميع يتبادلون الأحاديث المتنوعة حيث كان على جوي أن تقرر ما اذا كان ثيو كارينغتون شخصاً محترماً.

كان من السهل ملاحظة الاعجاب الذي شعر به بول تجاه ثيو، ذلك الرجل الأشقر الطويل القامة المطلع على أحدث الاراء.فجلس إلى جانبه محدقاً فيه طوال الوقت.كان الحديث بينهم مملاً.قررت جايني مغادرة الغرفة وبينما كانت تحاول الرحيل أوقفتها أمها قائلةً:

«لا تذهبي يا عزيزتي.السيد كارينغتون لا يمانع في ارتدائك ثياب العمل».

كانت جايني ترتدي سروالاً قصيراً جداً.وكانت تأمل أن يكون واضحاً أن قصر السروال الذي ترتديه يعود إلى كونه قديماً وليس للفت النظر.ألقى ثيو نظرة سريعة على ساقي جايني السمراوين ورفع حاجبيه مجيباً:

«طبعاً لا أمانع على الاطلاق».

كانت السخرية في صوته واضحة إلى درجة جعلت جايني تتساءل كيف أن والديها يجهلان الأمر.كان ثيو مسترخياً على كرسيه، يتنعم بضيافة أهلها والصداقة التي منحوه إياها بينما كان هو يسخر منهم طوال الوقت.

قالت جايني بصوت خافت:

«كنت أود الاستعلام عن طعام الغداء».

ولم تبال جايني إذا كان ما قالته يدل على قلة أدب او لباقة.

استطردت أمها قائلة:

«الغداء جاهز يا عزيزتي.هل تتفضل بمشاركتنا الطعام يا سيد كارينغتون؟»

وبهذه الدعوة عبرت جوي عن قبولها لثيو.

وافق ثيو على الدعوة بلطف ومن دون أي تردد.

سألت جوي:

«وكم سيدوم بقاؤك هنا؟»

«لم أقرر بعد.ربما اذا أعجبني المكان هنا سأمكث الصيف كله.والا سارحل قريباً».

ضغطت جايني على شفتيها.ربما كان ثيو كارينغتون

بحاراً متشرداً لكنه بلا شك ذو شخصية متصلبة تعجب كل من يصادفه.

كان سحره في ملامح وجهه القاسية ، في نظرته الباردة المتكبرة في فمه الخادع المدمن على النكتة والقسوة التي لا تلين . لا شك أن له نفوذاً على الآخرين.

ألقت جوي نظرة نحو زوجها وفي ذهنها سؤال تمنعت عن طرحه. قال محاولاً استجابة نداء زوجته:

«هناك الكثير من الأماكن للاستطلاع.فاذا كنت تحب الأماكن التاريخية لديك دار وورن تجد خلفها نموذجاً لقرية وسكة القطار البخاري التي تمر وسط أشجار البستان ومجموعة من الآلات القديمة الموجودة هناك».

أضاف بول بخجل:

«هناك الصيد كذلك.نذهب أنا وجايني لنصطاد السمك عند الخليج.اخرون يصطادون سمك المرلين على بعد قصير من المرفأ حتى لو أن الوقت لم يحن بعد لصيد السمك الكبير».

قال ثيو كارينغتون:

«صيد السمك هنا سهل جداً.فللصياد كل الأفضلية.وهذا يختلف في بلاد أخرى».

وبعد الحاح واصرار من قبل بول أخبرهم ثيو بقصة صيد التمساح في تايمور وهي جزيرة تابعة لأندونيسيا.وروى ثيو القصة هذه ببراعة مستعملاً عبارات قصيرة لكنها أغنى في التعبير من الصفات العديدة.استمتعت جايني بهذه القصة باعجاب شديد.لم يظهر ثيو أي تواضع متصنع حيال الدور الذي لعبه في القضاء على الحيوان.كما أنه لم يتباه أيضاً.حتى أن وصفه للرجلين الآخرين كان حياً.وعندما

أنهى ثيو حديثه أومأ بول برأسه موافقاً. لا شك أن هذه القصة حقيقية ، تبعد عن الخرافة بعداً شاسعاً.

أثرت القصة على والدي جايني وقبولهما لثيو بات واضحاً برغم قلة ثقتهما بأي شخص مثله يطوف البحار من دون تأمين دخل ثابت. قليلون هم الذين لا يقدرون قيمة ثيو. قيمته الموجودة في ثقته بنفسه.يمكن أن يشتبه الناس فيه،لكونه خطراً أو أن يشك البعض في صحة سحره الهازىء لكنه بلا شك يلفت النظر باستمرار. فاضافة إلى صفاته الطبيعية العديدة كحسن منظره مثلاً يملك كفاءة يرتاح إليها الآخرون.

انه من النوع الذي يحتاج إليه الآخرون.وألقت جايني نظرة نحوه فالتقت نظراتهما.احمر وجه جايني خجلاً مما أثار غضبها. وفكرت أن ثيو كارينغتون من نوع الرجال الذين لا يبالون بترك كل من يرتبط بهم من دون أية شفقة.عليها أن تتذكر ذلك اذا لزم الأمر يوماً...

الفصل الثاني

قبل العشاء بقليل كان ايين جالساً قرب النافذة يراقب السفن في المرفأ:

«يبدو أن السيد كارينغتون أرسى سفينته في موضع السيد هاري تورنز».

رفعت جوي نظرها نحو زوجها وأجابت:

«أهذا صحيح؟ ترى كم سيدوم بقاؤه في اواكيبو؟»

«هو نفسه لا يعلم.أمر مؤسف أنه يعيش حياة كهذه بلا أي هدف.ربما له غاية شخصية تمنعه من الاستقرار.»

سمعت جايني نظرية أبيها،فهو مثلها عاجز عن تفسير كيف أن رجلاً مثل ثيو له عزيمة قوية وادراك للمستقبل،يكتفي بالتشرد من بلد إلى آخر بلا أي هدف معين.

«دلت أحاديثه عن معرفة عميقة ببلدان عديدة مما يوحي أن عمره أكثر من ثلاثين سنة كما يبدو،أو أنه بدأ حياة السفر في سن مبكرة».

«ربما يا عزيزتي. يجدر الذكر أنه رجل ذكي ومثير».

وأطلق زوجها ضحكة خافتة:

«أعتقد أنه رأي توافق عليه النساء».

ولشدة دهشتها لاحظت جايني وجه أمها يتحول من لونه الطبيعي الى الأحمر،ثم ترتب شعرها بطريقة عصبية.

«انه رجل بكل ما في الكلمة من معنى».

وأضافت قائلة:

«لا شك أن بول يعتبره مثله الأعلى».

«يسعدني ذلك.فبول يحتاج الى تأثير شخص مثل ثيو مولع بالطبيعة والرياضة بدل تأثيره المستمر بلويس باستور».

لم يسأل أحد جايني رأيها بثيو كارينغتون مما أسعدها.لقد قررت أن تبعده عن ذهنها.وفي صباح اليوم التالي وبرغم اصرار شاي، رفضت جايني بعزم الذهاب لصيد سمك الاسبرط. لكن بينما جايني تتبضع من سوق المدينة، كان ثيو أول شخص تلتقي به فور خروجها من السيارة.كان واقفاً أمام حانوت للتحف الغريبة، يتأملها بنظرة تهكمية.والتفت نحوها فور خروجها من السيارة وبادرها بالحديث قائلاً:

«بضاعة تافهة تصلح للنفاية.أتعتقدين أن هناك من يشتري مثل هذه البضاعة؟»

فألقت جايني نظرة إلى الحانوت راجية ألا يكون تعليقه قد وصل الى آذان السيدتين العجوزين اللتين تملكان الحانوت.

«نعم.لكنه عدد قليل من الناس».

أضاف بلؤم:

«ارتفعت مكانة الشعب النيوزيلاندي في نظري».

ثم استطرد قائلاً:

«لابأس بهذه المنطقة كمركز للتبضع».

ضحكت جايني وسألته:

«هل اشتريت بعض البطاقات البريدية؟».

«لا، فما من أحد يهمني لارسلها اليه».

«حتى أمك؟».

«لا تحب هذا النوع من المراسلة».

كانت الشمس تلمع من خلال شعره الذهبي وأحست جايني بجاذبية قوية نحوه،وشعرت في أعماقها أن هذا الاحساس بات يتخطى مجرد الجاذبية الخارجية. كانت عاجزة عن الفرار من هذا الوضع، وشكرت حظها أن نظارات الشمس التي كانت ترتديها قد حجبت شعورها الواضح في عينيها.

«ولا أية عمة مثلاً؟أو اية أرتباطات ودية؟»

أطلق ضحكة خفيفة وأجاب:

«ليس لدي أية عمة،ورحيلي عادة يسعد أية فتاة أرتبط بها ودياً.معاملتي للفتيات سيئة جداً».

«يبدو أنك كبقية البحارة.يوقعون الفتاة في حبهم ثم يتركونها بلا ندم.»

أجاب ثيو وقد تلاشى عن وجهه المرح وبدت عليه القسوة:

«تماماً.معظم النساء يفضلن حياة مستقرة، منزلاً وزوجاً يعود كل مساء. تسعى النساء وراء جذور وانا مجرد من أي جذور».

«ربما كانت مسألة وقت.أعني الرغبة بالاستقرار.حالياً لا أفكر في أي شيء آخر سوى خوض المجهول واكتشاف العالم».

رفع حاجبه الكاحل اللون وقال:

«يا لك من رومنطيقية يا جايني.جملتك رائعة».

«تلقيت الكثيرمن الألقاب سابقاً، من ألطفها لقب رومنطيقية، خاصة أنه وصف منك».

ظهرت على وجهه ابتسامة:

«حسناً اذاً لن أقول المزيد.إلى أين تذهبين؟»

«إلى حانوت البقالة.اذا شئت الانتظار أوصلك إلى المرفأ».

«أشكر لطفك.الحقيقة أنني عاجز عن حمل كل هذه البضائع».

وبعد أن تم الاتفاق على اللقاء قرب السيارة ،ذهب كل منهما في سبيله. ثيو إلى مركز البريد وجايني إلى حانوت البقالة.

اختارت الآنسة باودن هذا الحانوت لشراء بضاعتها لأنها تفضله على الآخرين. فهو يضم فعالية المخازن الكبرى والخدمة الشخصية المتوفرة في الحانوت الصغير.ويبدو أن ثيو كارينغتون قد اختار الحانوت نفسه كما اكتشفت جايني من خلال حديثها مع البائعة الشابة.

«رجل رائع الذي كنت تتحدثين إليه،هل تعرفينه؟»

«بالكاد».

تكره جايني الثرثرة لكن جانيس ودود ولا تقصد أي شيء فاستمرت قائلة:

«جاء البارحة صباحاً في يخت رائع.دعاه أبي الى تناول طعام الغداء برفقتنا».

قالت جانيس بحسد:

«يا لك من فتاة محظوظة».

ثم استمرت تقول:

«عندما دخل الحانوت تضاعفت دقات قلبي.أرجوان يدوم بقاؤه هنا لمدة طويلة.أحب أمثاله من العمالقة الشقر».

«أنتبهي ألا يسمعك تيري».

«انتهى كل شيء بيني وبين تيري.لست على استعداد للاستقرار بعد.ثم اني لا أرغب في قضاء بقية حياتي أحلب البقر».

ابتسمت جايني ولم ترد.كانت تعلم أن جانيس ابنة مزارع وتملك الكفاءة الكاملة لتكون زوجة مزارع،برغم ما يبدو عليها من فتنة وتكلف.

«ما اسم صديقك؟»

«ثيو كارينغتون».

«هل يسعى وراء عمل؟ يحتاج أبي لرجال يعاونوه في جمع التبن».

«أما زال الوقت باكراً؟»

«هذه هي المشكلة. مر علينا فصل ربيع حار مما جعل التبن جاهزاً الآن.لكن لا يوجد عدد كاف من التلاميذ للعمل في هذا الحين كما هي العادة».

«حسناً، اذاً سأسأل ثيو.أم تريدين طرح السؤال بنفسك؟»

«لا،شكراً،ربما ظن أني وقحة واعتبر صناعة التبن دون مقامه».

لكن ثيو نيوزيلاندي وهذا يعني أنه لا يرفض الأشغال التي تتطلب مجهوداً جسدياً. اقترحت عليه جايني هذه الفكرة فأجاب بعد دقائق من التفكير:

«فكرة جيدة. أرحب بالعمل.من علمك قيادة السيارة؟»

«أبي.لماذا؟»

«حسناً فعل،أنت تقودين من دون أي ارتباك وبراحة تامة وسيطرة كاملة.أمر نادر لفتاة،وخاصة في عمرك».

«هل أنت متحيز لجنس الرجال؟»

«عليك أن تكتشفي ذلك بنفسك».

قال ذلك وكأنه يلمح عن رغبته في البقاء لمدة طويلة.ولد في قلب جايني شعور مجهول ووجدت نفسها تبتسم من دون سبب.

«هل ستدخل لتناول الشراب أم عليك أن تذهب مباشرة إلى حجرتك؟»

«إلى حجرتي.فلدي أعمال كثيرة».

رمقته جايني بنظرة تساؤل لكنه تبين لها من خلال نظرته الجامدة المنفصلة أنه لن يرحب بأي سؤال اضافي.فاكتفت بالصمت والتركيز على قيادة السيارة.

استقر فصل الصيف بحرارته وجفافه.وظمئت الأرض تحت أشعة الشمس اللاهبة. وفي كل أنحاء آواكيبو بدأت المضخات بالعمل.ظهر القلق على وجوه المزارعين ودار بينهم حديث عن موسم جفاف لم يتكرر منذ عشرين سنة.

كان تدفق السياح يكبر حتى بدا وكأن عددهم يفوق عدد السكان المقيمين. ويتمتعون بوقت سعيد حتى ولو أن البعض منهم لم يتوقع أن ترتفع الحرارة إلى هذا الحد. وضعت جايني قبعة على رأسها لتحميه من الشمس وحجبت عينيها تحت نظارات شمسية وراحت تقطف ثمر الفراولة. واكتسبت بشرتها لوناً أسمر جذاباً.

* * *

وقبل العيد بأسبوع نظم رجال الأعمال المحليون استعراضاً حضره الجميع. كانت عائلة باودن من منظمي هذا الاستعراض. وارتدت جايني فستاناً صيفياً ونزلت تتنزه في ساحة المدينة.

وفي نزهتها مرت أمامها فتاة في السنة الأولى من عمرها تعثرت خطاها وكانت على وشك أن تقع حين أسرعت جايني والتقطتها.

وسمعت صوتاً مقبلاً من خلفها.

«حسناً فعلت».

«ثيو».

ابتسمت جايني لرؤيته. وفجأة لم تعد لزينة العيد والغبطة التي تنتشر حولها الأهمية نفسها.

قال ثيو ممسكاً بذراعيها:

«بات لونك أسمر. تعالي رافقيني».

«كيف عملك في جمع التبن؟»

اجابها: «حار، جاف، وقاس. لكنني سعيد لتمرين جسدي

من جديد. اننا على وشك انهاء العمل. بقي يومان وينتهي الأمر».

«ترى كم سيدوم هذا الجفاف؟ ربما ستتساقط الأمطار من دون توقف خلال شهري كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) .»

«أرجو ألا يحصل ذلك. قررت المكوث حتى (مارس) آذار».

«صحيح؟»

فوجئت جايني بشعورها بالفرح العارم عند سماعها هذا الخبر، وعجزت عن ازالة الابتسامة عن وجهها.

انطلقا معاً، يتنزهان بين زحمة الناس. يقفان بين الحين والآخر لتبادل التحية مع بعض المعارف. وقدمت جايني ثيو لأصحابها... أحبه الجميع نساء ورجالاً. كان الاستعراض مليئاً باللهو والتسلية وعندما انتهى سألها ثيو:

«أترغبين في التبضع الآن؟»

«أعرف أن الاستعراض للأطفال لكنني أجده ممتعاً».

«لا تعتذري يا عزيزتي فأنت ما زلت طفلة ومن الطبيعي أن تتمتعي بهذا النوع من اللهو. في أي حال استمتعت به أنا أيضاً».

«لا تحاول مراعاة شعوري».

«للطفولة براءة مرغوبة جداً كما تعلمين. ومن السهل تقليد الانسان المحنك والمتكلف لكن يستحيل استرداد براءة الطفولة متى فقدت. كنت »

«هل تحب أن يقال عنك أنك ولد؟»

أطلق ضحكة رنانة وأجاب:

«مضى علي وقت طويل منذ كنت ولداً.ماذا تفعلين الآن؟»

أجابت هامسة وقد أدهشتها سرعته في تغير الموضوع:

«لا شيء».

«اذاً تعالي معي.اتركي رسالة لأهلك تعلمينهم فيها عن خروجك،وتعالي لأرافقك إلى شاطىء اكتشفته منذ أيام قليلة».

ترددت قليلاً لكنها سرعان ما وافقت وتركت نفسها تستجيب لشخصيته الساحرة التي لا تقاوم.أصبح يملك سيارة الآن،متوسطة الحجم،جديدة ومريحة جداً.وبعد أن تركت رسالة لأهلها ، ارتدت سروالاً قصيراً وانطلقا معاً نحو الحوض،وكانت الطريق هادئة والصمت سائداً.وتحيط بالطريق على الجانبين أشجار استوائية، والشمس مشرقة بأشعتها الحادة. جلست جايني تتأمل ما حولها بدهشة عارمة واتخذ ثيو طريقاً فرعية تؤدي إلى حافة النهر ثم أوقف السيارة والابتسامة تعلو وجهه.ولم يقل شيئاً.ترك جايني في انجذابها. كانت تجهل وجود مكان بهذه الروعة والجمال.وبعد حين خرجت جايني من السيارة إلى الرمال الذهبية التي تحيط بمياه النهر الدافئة.ورافقها ثيو ممسكاً بيدها.

قالت بلطف:

«مكان رائع لم آت إلى هنا من قبل.انها مزرعة عائلة مثيو. أليس كذلك؟»

«نعم.تعالي لنكتشف المكان معاً».

كانت الأرض مزروعة بالملفوف والازهار وأصناف النباتات. وبالقرب منها مياه الجدول الصغير باردة ونقية

«خلال تشردي حول العالم كانت نفسي تتوق دائماً للرجوع إلى الوطن.كم انتظرت لأعود إلى هذه الأرجاء.برغم كل ما قدمته لي البلاد الأخرى، يبقى الوطن قسماً من كياني لا يتجزأ.»

«كم طال غيابك؟»

«عشر سنوات.كنت في العشرين من عمري حينذاك.صممت على الرحيل.أردت أن أبرهن لذاتي أنني قادر على شق طريقي بنفسي. عملت ليل نهار ووفرت ما يكفي من المال لشراء مركب صغير،انطلقت فيه نحو الجزر».

أومأت جايني برأسها:

«الجزر!»

كانت تعلم أن ما يعنيه ثيو هي جزر فيجي،تاهيتي، راروتونغا،وساموا وغيرها،وهي جزر استوائية ذات جمال خاص...لا تبعد عن نيوزيلاند الا القليل لكنها عالم مختلف تماماً.

تنهدت جايني معبرة عن رغبتها الجامحة في خوض البحار. فنظر إليها ثيو قائلاً:

«يبدو أنك راغبة بالسفر أيضاً.لا تنسي أن للسفر متاعبه ومشقاته».

وأخبرها عن المصاعب التي واجهها في البحر، كالقراصنة في أندونيسيا...ثم أخبرها عن حياة الصيادين والفرحة في الاستهداء إلى واحة في الصحراء وعن نقاوة النور فوق الجزر اليونانية. وجايني تصغي وتراقب كل تعبير يرتسم على وجهه وكأنها حريصة على الاحتفاظ بكل

التفاصيل في ذاكرتها. ربما احتاجت إليها في ليلة باردة من ليالي الشتاء القاتمة عندما يكون ثيو قد غادر آواكيبو.

ولم تدرك إلى أي حد تركت نفسها تتأثر بحديث ثيو. فالهواء بات أكثر نقاوة والسماء أكثر زرقة والشجيرات الخضراء أكثر انتعاشاً. ربما كان هذا هو الوقت الذي أحست فيه بشعور يولد في أعماقها لم تعرفه من قبل. كانت تلتهم بعينيها كل شيء حولها فسألها ثيو:

«لماذا تحملقين بكل شيء على هذا النحو؟»

«أحاول إيجاد المكان المناسب لبناء منزل».

«منزل؟ وكيف تصفينه؟»

«أتخيل منزلاً متواضعاً... تحيطه الأشجار من كل النواحي. نوافذه واسعة وعديدة. أرضه مفروشة بالبلاط. وبعيداً عن الأنظار».

كانت رائحة البحر والبستان تمتزجان مما زود الهواء بنقاء ملحوظ.

قال ثيو:

«رائع».

نظرت إليه جايني ولمحت تعبيراً جامداً في عينيه مما جعل قلبها ينكمش. فتابعت سيرها بعيداً عنه.

• • •

أمرت جوي ابنتها جايني:

«حاولي أن تتذكري دائماً. فهذا يساعد على تحسين قامتك وثيابك. هل أنت جاهزة؟»

أومأت جايني برأسها. موعد حفلة نادي الدراما الليلة، وجايني قبلت حضورها على مضض... لم تكن تملك إلا ثوباً واحداً مناسباً للحفلة، لونه أخضر وطرازه قديم. لا يلائم قامتها أبداً. وحاولت جايني أن تخفي حزنها لكن بلا جدوى فجلست على الكرسي حين صاحت أمها:

«جايني!»

«أماه، أحتاج الى معجزة لتحسين مظهري. لست كبيني أملك جمالاً طبيعياً».

«لماذا تقارنين نفسك ببيني؟ لا تدعي نجاحها في الحياة يجردك من ثقتك بنفسك... حتى بيني اضطرت أن تتعلم كيفية التصرف في المجتمع».

قال بول متحدثاً من مقعده قرب النافذة:

«لا تصدقي ذلك. ولدت بيني وهي مزودة بحسن السلوك. الفرق بين بيني وجايني هو أن بيني واثقة تماماً بأنها هدية الخالق للبشر. بينما جايني تعتبر أنه لطف من العالم أن يقبل بوجودها».

رمقته السيدة باودن بنظرة ساخطة ثم أجابت:

«كيف اقتنع أنك تخطيت سن المراهقة يا بول؟»

ومن مقعده قرب النافذة كان بول يراقب الشارع بواسطة المنظار.

«ها هو ثيو في صحبة فيل تالبوت الفتاة ذات الشعر المصبوغ».

فيل تالبوت فتاة من عائلة ثرية و لها مكانة مرموقة في المجتمع، تدرس في جامعة أوكلاند. رائعة الجمال، أنيقة

وظريفة.وقبولها باصطحاب ثيو إلى الحفلة يدل على أنه من مستوى اجتماعي حسن.

كانت الفكرة نفسها تجول في ذهن جوي.وعندما دخل زوجها الغرفة أخبرته بما قال بول.

«هذا دليل كاف على أن ثيو ليس مجرد بحار متشرد.حسناً هل أنتم جاهزون؟»

وخرجوا معاً،إلى حفلة نادي الدراما.

الفصل الثالث

توجهت عائلة باودن إلى قاعة الاحتفال بعد أن ذهب بول إلى بيت أصدقائه ،حيث سيقضي الليلة.وآواكيبو تفتخر بقاعة الاحتفال التي بنيت منذ ثلاثين سنة وما زالت تحتفظ بأهميتها كقاعة للجالية بأسرها.

وتولى نادي الدراما وضع الزينة.كان الورد في كل مكان مما شكل جو عيد وغبطة.وارتدت الفتيات والنساء أجمل الفساتين،فبدت جايني كفتاة يتيمة.وحاولت أن تختار مكاناً منزوياً للجلوس، حيث لا يراها أحد،خاصة أنها لمحت من بعيد ثيو كارينغتون برفقة فيل تالبوت.لكن ما أن جلست حتى التقت عيناها بعيني ثيو الذي حياها بابتسامة، فردت التحية. كانت فيل في زهوة لا توصف. وجعلها وجودها مع ثيو تبدو أسعد فتاة في القاعة.وبدا على ثيو أيضاً أنه يتمتع بوقت سعيد،كان من الصعب على جايني أن ترى بوضوح من خلال عينيه، حقيقة شعوره.لكنه كان واضحاً تماما أن لثيو تأثيراً على فيل كتأثير المخدر. بدأت الفرقة تعزف الموسيقى وغصت القاعة بالراقصين. وبين ذراعي ثيو دفنت فيل نفسها وكأنه المكان الوحيد الذي ترغب فيه.احترق قلب جايني لهذا المشهد.وشعرت أن فيل استسلمت لسحر ثيو كلياً.ليس لسحره فقط بل لجاذبيته

www.elmanara.com

القوية المدعمة بقوة شخصيته وأرادته النابعة من صميمه.ان ثيو كارينغتون رجل خطير.حتى جايني باتت تشعر بخطره وهي التي لا تعطي أهمية كبيرة للجنس الآخر.وبينما كانت جايني تستمع الىأمها وهي تتحدث مع صديقاتها اقترب منها شاب طويل القامة أسمر اللون فوجئت جايني بمشاهدته وصاحت:

«سام،ماذا تفعل هنا؟كنت أعتقد أنك تعمل في غرب أوستراليا في صناعة الحديد».

كان سام صديق جايني منذ زمن،وكانت تطمئن لرفقته فهو يعاملها معاملة أخوية.وسام شاب محبوب من الجميع،أصله مزيج يوغسلافي وماوري واسكوتلاندي.

طبع قبلة على جبين جايني وأجاب:

«انني في عطلة الآن. فقررت أن آتي لزيارة فتاتي المفضلة».

اصطحبها إلى حلبة الرقص وانطلقا يرقصان معاً ويتبادلان الأحاديث المرحة.ثم سألها سام:

«من يكون هذا الشاب الذي يرقص مع فيل تالبوت؟ لقد رمقني بنظرة غريبة».

أجابت:

«ثيو كارينغتون».

«يبدو أنه يراقبك بنظرات استفهامية».

«لا أعتقد أنك على صواب. فأنا لا أعني شيئاً للسيد كارينغتون».

«أما زلت تعانين من عقدة النقص

نفسها؟ان ما تبدين عليه الليلة يجعلني في الحقيقة أوافق على رأيك.لكن عندما يأتي ذلك الشاب السعيد الحظ ويشعل النار في قلبك ذات يوم،حينذاك ستلفتين أنظار الجميع».

اجابت جايني مقدرة لباقته، من دون تصديق كلمة مما يقول:

« اشكر لطفك يا سام.»

وشرع سام يستفهم عن أخبار المنطقة.نسيت جايني كآبتها وراحت تتمتع برفقة سام وأصدقائه.لكنها بين الحين والآخر كانت تختلس نظرة تجاه ثيو وفيل اللذين كانا منسجمين معاً إلى حد كبير.

عند منتصف الليل غادر أهل جايني الحفلة بعد أن وعدهما سام بتوصيل جايني إلى البيت قبل الساعة الواحدة.

وغادر القاعة أغلبية الكبار في السن، مما أكسب الحفلة جواًعفوياً مجرداً من الرسميات.

تقدم ثيو من جايني ودعاها للرقص.حاولت متابعة خطواته...كان يجيد الرقص وما هي الا ثوان قليلة حتى شعرت جايني بالراحة نفسها التي كانت تشعر بها وهي ترقص مع سام.

قال ثيو:

«يبد أنك سعيدة الآن لرجوع حبيبك».

نظرت إليه جايني بدهشة:

«سام؟»

«أهذا اسمه؟سام من؟»

«سام بارتينغال، وهو ليس حبيبي،بل صديق حميم».

أطلقت ضحكة خافتة واستمرت تقول:

«انه عزيز لدي كأخ ولا يشكل متاعب كالحبيب».

«وماذا يفعل سام؟»

«انه يدرس الطب.لقد أنهى سنة دراسية في جامعة أوكلاند».

أجاب ثيو:

«انه جدير بالاحترام».

ثم أضاف:

«أيتها الغبية يبدو أن سام يذوب في حبك».

«غير صحيح».

«لا أحد يوازي سذاجتك.خاصة في هذه الأيام».

ظهر الغضب على وجه جايني.

«هل تمانع؟ اذا شئت تحليلي احتفظ بالنتائج لنفسك. فلدي احاسيسي الخاصة».

«يا لك من طفلة».

كان صوته قاسياً وكأنه يقصد إيذائها.وجدت جايني نفسها عاجزة عن صده.واغرورقت عيناها بالدموع فأحنت رأسها لتخفي خجلها.

قال بحنان:

«لا تبكي يا جايني.فما من رجل يستحق دموعك».

«دموعي ليست لك...لم أعتد أن يخاطبني أحد بهذه اللهجة من قبل».

«لست غاضباً عليك اني غاضب على نفسي وعندما أغضب مع نفسي،أسيء إلى أقرب من هو مني».

«ولكن هذا غير منطقي».

«وهل تتوقعين من الناس أن يكونوا منطقين؟»

«ولم لا؟»

«لم لا؟»

ارتفع حاجباه واستطرد قائلاً:

«هل تؤمنين بالحب الحقيقي بين رجل وامرأة؟»

فاعتلى وجه جايني الاحمرار ولكنها صدت الشعور بالخجل وقالت بحزم:

«نعم».

«أترين؟أين هو المنطق عندما يحب رجل امرأة معتقداً أن معها وحدها يمكنه اكتشاف السعادة؟ بينما يعلم أي أنسان بسيط أن الزواج السعيد يرتكز الى الجاذبية الخارجية بين الطرفين وانسجامهما الشخصي.هذا أكيد اذا ما تسعين إليه هو أمان الاستقرار ضمن الحياة الزوجية».

«وطبعاً هذا ما لا تريده».

أجابت محولة السؤال إليه حين وجدت نفسها عاجزة عن الدفاع عن آرائها الرومنطيقية حول الحب والزواج أمام ما ورد منه من سخرية.

وبينما كان ثيو يفكر بالإجابة كانت جايني تتأمل تعابير وجهه بدقة.وكانت تشعر بقوة وثقل ذراعيه حول خصرها.ثم أجاب:

«أريد الزواج.لكنني لا أريده لأمان الاستقرار.انظري

www.elromancia.com

حولك. حتى في هذه المنطقة تجدين عدداً من الزيجات في مأزق كبير. وعادة يبقى الزواج مستمراً بسبب الأولاد أو مجرد كسل من الطرفين».

«طبعاً هنالك العديد من الزيجات على هذا النحو. لكن هنالك العديد من الزيجات السعيدة أيضاً».

أجاب بجفاء:

«هذا يرجع إلى تحديد كلمة سعادة».

ثم استمر يقول:

«هل يسعدك أن تكون سعادتك الزوجية ناتجة عن لحظات عاطفية تشاركينها مع زوجك مدركة أن أي تغيير في المستقبل يعني بداية جديدة والاعتياد على العيش من دون رفاهية الألفة التي كانت سائدة؟ الناس كسالى يا جايني. يضعون الاصفاد بأيديهم ولا يمانعون، فتبدو الحياة أسهل للعيش».

سألته وهي تحدق في عينيه وفي بسمته الساخرة:

«وما الضرر في ذلك؟ أقصد أنها حتماً نوع آخر من السعادة».

«وذلك أفضل من لا سعادة على الاطلاق. هل تقبلين بزواج كهذا؟»

«لا».

«هذا ما اعتقدته. تريدين سعادة الغرام أن تستمر إلى الأبد بعد الزواج».

«طبعاً لا. فهذا مستحيل. لكنني اؤمن أن مشاركة الحياة اليومية بقدرتها أن تصوغ ارتباطاً قوياً بين الطرفين».

وفور انتهائها من حديثها ضحكت بعصبية وقالت:

«كم أنا غبية. أتكلم وكأن لي تجربة في الزواج، وأنت؟»

«لا. لم أجرب الزواج بعد».

ثم أضاف مغيراً الموضوع:

«تجيدين الرقص يا جايني».

فكرت وكأنها تهمس بقلبها:

«أحب الرقص، وخاصة برفقتك».

استمر الطقس على حالته وارتفعت الحرارة إلى درجات لم تصل إليها من قبل. ذبلت المزارع تحت أشعة الشمس القاسية، ومن شدة الحرارة بات الأكل صعباً والنوم أصعب. واشترت جايني أثواباً جديدة، منها ثوب للسهرة وصندل كعبه عال.

سألت أمها والشك يساورها:

«كعب عال يا عزيزتي؟ يجعلك تبدين طويلة جداً».

أجاب بول:

«لكنها طويلة.» ثم أضاف: «ستة أقدام».

قالت جايني:

«تقريباً».

واستطرد بول قائلاً:

«سيبلغ طولي الستة أقدام قريباً».

تتذمر السيدة من غلاء الثياب التي تحتاج لشرائها لبول باستمرار:

«لا أحد يشك بذلك. فبول ينمو بسرعة عجيبة...»

«سأصبح طويلاً كالسيد كارينغتون. وذلك ستة أقدام

وبوصتين.جايني،هل سترافقينا الليلة ؟ سنذهب إلى الخليج لصيد السمك».

ترددت قليلاً ثم أجابت:

«لم لا؟ متى اتفقتما على الذهاب؟»

«الساعة التاسعة.أمي متى ستعود بيني؟»

«لم يبق سوى أيام قبل عودتها.لماذا؟»

«التقيت بجيف ماكدانولد في ساحة المدينة اليوم وسألني عنها».

تنهدت السيدة باودن:

«آه ... كنت أرجو أن يكون قد تحرر من حبه لبيني».

وهذا ما كان يرجوه الجميع. أحب جيف بيني منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها. وكان جيف حينذاك مسؤولاً عن مزرعة أبيه، لكن بيني تعتبره من طينة غير طينتها.أغضبه قرارها الالتحاق بالجامعة،وخاصة لدراسة الحقوق،لكنه ما لبث أن قبل بالأمر. فجيف لا ييأس أبداً.استمر في الخروج مع بيني خلال عطلة الصيف راجياً أن تحقق المثابرة ما فشل الاخلاص في تحقيقه. لكن جايني كانت تعلم أن الأمل ضئيل.وما دام جيف راضياً بالوضع كما هو فلا أحد يقدر على تغييره،خاصة أن بيني ترحب به بسرور كبير كلما تم لقاؤهما من جديد. يبدو الآن أن الشيء نفسه سيتكرر هذا الصيف.سيأتي جيف ويصطحب بيني في نزهات متعددة كما هي العادة كل صيف.

أمسكت جايني بوردة النرجس تشم عطرها الساحر. وفجأة ظهر بول أمامها وقد بدا عليه المرض.

«هل أنت بخير؟»

«معدتي تؤلمني.»

اقتربت منه والدته وقالت:

«منذ متى تشعر بهذا الألم؟».

«منذ قليل».

كان صوته قلقاً.وأرغمته أمه على الايواء إلى الفراش فأطاعها.

سألت جايني أمها فور دخولها الغرفة:

«كيف حاله الآن؟»

«انه نائم.لا شك أنه تأثير الحرارة. سيحسن النوم من حالته حتماً».

«أتعتقدين أنه سيقدر على الذهاب لصيد السمك؟»

«لا يا عزيزتي. فاذا كنت تنوين الذهاب،عليك أن تذهبي بمفردك».

ترددت جايني لكنها سرعان ما أدركت أن رفضها للذهاب مع ثيو سيثير الشكوك فقالت:

«حسناً.ربما سيعدل ثيو عن الرحيل».

«لا أرى سبباً لرفضه . فأنت تحسنين الصيد تماماً كبول».

لم يظهر ثيو أي ازعاج لمعرفته أن بول عاجز عن اصطحابهما. فبعد أن عبر عن أمنيته بشفاء بول سريعاً،اصطحب جايني معه وانطلقا نحو الخليج.كان

النور ما زال ساطعاً لكن الشمس فقدت معظم حدتها.وفي طريقهما،وقع نظرهما على يخت في المرفأ حيث كان يجري احتفال. كانت الموسيقى والأصوات المرتفعة مسموعة من مسافة بعيدة.وبينما كان ثيو يدير الزورق البخاري،خرجت فتاة من اليخت المجاور وحيت ثيو بقبلة على الهواء.ورد ثيو التحية بالمثل. فاشتعلت جايني غيظاً.لاحظ ثيو رد فعلها وأطلق ضحكة عالية. كان يبدو كالقرصان.وأدارت جايني رأسها تتأمل مياه النهر محاولة اخفاء حقيقة شعورها.

أثناء الرحلة، لازمت جايني الصمت.كان ثيو منهمكاً بقيادة الزورق عبر القناة.واقترب منهما ببطء مركب ظهر منه ريد تومسون وحياهما بأدب:

«مساء الخير يا جايني،ويا ثيو».

«مساء الخير يا ريد».

«ليلة لابأس بها.أذاهبان للصيد؟»

«نعم».

قال ريد وهو يلقي سيكارته:

«كونا على حذر.ستجدان في طريقكما بحارة على متن مركبين يحتفلان بالعيد، أغلبيتهم في حالة دوخة يرثى لها».

«سنكون على حذر.شكراً يا ريد».

«العفو».

وتابعا طريقهما.كانت جايني تتأمل ثيو وهو يقود الزورق. كانت تحدق في كتفيه العريضتين...ولونه

الأسمر وقامته الجذابة. ليس عدلاً أن يملك ثيو كل هذا بالإضافة إلى شخصيته الفذة...انه رجل يسهل الوقوع في حبه ويصعب نسيانه.

وكلما اقتربا من الخليج سمعا بوضوح أكثر ضوضاءالحفلة التي حذرهما منها ريد، كانت الموسيقى تخرق الآذان.وألقت جايني نظرة قلقة نحو المركبين لكن ثقتها بثيو سرعان ما أزالت قلقها. كان المركبان متصلين بالحبال مما جعلهما يجتازان القناة معاً. وفجأة قفز بحار من المركب الكبير إلى الآخر حاملاً بيده كوب شراب.وتبع قفزته تصفيق وهتافات ثم تمايل المركب بقوة.ولم يفعل البحارة شيئاً لاعادة المركب إلى توازنه. فاشتدت الحالة سوءاً حتى انحرف المركب الكبير إلى حيث المياه قليلة العمق. علا الصراخ.وأسرع ثيو بزورقه نحو المركب ثم توقف.وسرعان ما تسلم ثيو الوضع محاولاً تنظيم الأمور.

مرت ساعة كاملة ساعد ثيو خلالها على اخلاء المركب الصغير الذي تحطمت أجزاء منه نتيجة الاصطدام.وبمساعدة بعض الموجودين في مركب آخر تم سحب المركب الكبير من المياه الضحلة.وبعد ساعة من الوقت حضرت الشرطة وأشرفت على الأمر.

عاد ثيو إلى جايني قائلاً:

«حسناً،هيا بنا لنعود».

أثناء وجود ثيو لم تقع أية اتهامات لأنه استطاع أن يسيطر على البحارة بقوة شخصيته ولسانه اللاذع.وبوصول

www.liilas-romancia.com

الشرطة بدأت الاتهمات تمطر من الطرفين وبدت الحالة على وشك الانفجار. فكانت جايني سعيدة بالعودة إلى البيت.

«من المستحسن أن نعود إلى البيت الآن. سوف نعود للصيد مرة أخرى».

أومأت جايني برأسها. لقد رأت ثيو كما لم تعرفه من قبل. كان في حالة أثارت خوفها، حتى لو أنها أعجبت بطريقته في معالجة الوضع. انه رجل متعدد الصفات. ربما كان بحاراً متشرداً لكنه ولد ليكون قائداً.

فبعد ثوان من وصوله إلى المركب أرغم الجميع على إطاعته، فأطاعه الجميع بلا استثناء.

وفي الليلة التالية ذهب ثيو وبول وجايني معاً لصيد السمك. اصطادوا كميات كبيرة حتى اضطرت السيدة باودن لوضع معظمها في الثلاجة. وفي الأيام التالية انهمكت جايني في قطف الفراولة، بينما كان ثيو يجمع التبن.

انتهت الترتيبات اللازمة للعيد. واقترب موعد عودة بيني. سمعت جايني أمها تقول:

«حسناً، كل شيء جاهز. أرسلت بطاقات المعايدة واشتريت كل الهدايا اللازمة. دعوت ثيو لقضاء العيد برفقتنا. فقبل دعوتي لتناول طعام الغداء، أما للعشاء فلن يكون معنا. بل أتوقع أن يكون ضيفاً في منزل عائلة تالبوت».

«ممكن.» أجابت جايني وتابعت: «فثيو وفيل يخرجان معاً باستمرار».

أجابت السيدة باودن:

«هكذا سمعت».

«يبدو أن ثيو استقر في آواكيبو، وكأنه ينوي البقاء. أمر

مؤسف أن تكون حياته على هذا الشكل، من مرفأ إلى مرفأ. لو أنه يستقر ويثبت في عمل».

«وماذا تقترحين أن يفعل؟ لا أستطيع أن أراه وراء مكتب أو مقود شحن مثلاً».

نظرت إليها أمها بدهشة:

«جايني، ان ثيو رجل مثقف تبين لنا من حديثه منذ مدة أنه تخرج كمحاسب».

«محاسب؟»

لم تصدق جايني ما سمعته، فلم يكن بامكانها أن تتصور ثيو كمحاسب. ليس في شخصيته شيء يدل على الدقة والترتيب العقلي الحسابي.

«يظهر أنه لم يحب عمل المحاسب. قال لي انه بدأ حياة السفر وهو في العشرين من عمره».

«اذاً حصل على شهادة المحاسبة خلال تجوله في بلد من البلدان...»

«ربما».

وعجزت عن تخيل ثيو محاسباً كعجزها عن تخيله سائق شاحنة. من الصعب تصنيفه فهو فريد من نوعه.

أتى سام في تلك الليلة ليتبادل الأحاديث مع جايني. وبعد أن ألقى التحية على السيد والسيدة باودن، خرج برفقة جايني إلى الشرفة. وجلس على الأريكة يتناول الشراب. ساد الصمت بينهما حتى قال سام:

«كم تغير هذا المكان منذ مجيئكم إلى آواكيبو. لقد صنعتم الكثير لتحسينه».

« اذكر ذلك . كان المنزل بدون نوافذ وغرفة قاتمة لا تدخلها الشمس أما الحديقة فكان العشب فيها نامياً جداً».

نظرت حولها تتأمل ما فعلته السنوات الست الماضية. أصبحت الحدائق التي تحيط بالبيت أنيقة ومزروعة بأجمل الأزهار. وتحول البيت إلى مسكن مريح وبهيج تدخله الشمس وتملؤه دفئاً، وأخذ سام يتحدث عن عمله خلال العطلة.

بدأت الشمس تغيب ومن بين أشجار الاوكالبتوس سمعا تغريد عصفور. وفجأة قفزت شاي على كتف جايني تفوح منها رائحة السمك. أخذتها جايني بين يديها ووضعتها في حضنها اذ غلبها النوم.

«علي أن أذهب الآن يا جايني. ما رأيك في مرافقتي إلى حفلة عيد رأس السنة؟ سيذهب إليها كل أصدقائنا».

«حسناً، فهذه فرصة سانحة لرؤيتهم. يبدو أننا انهمكنا في العمل هذه السنة ولم نجد الوقت الكافي لرؤية بعضنا».

«ربما ستكون هذه آخر سنة نجتمع فيها. هل قررت ماذا ستفعلين في السنة الجديدة؟»

«لا لم أقرر بعد».

«لا تيأسي. ستحتاجين إلى الوقت لتقرري اتجاهك في الحياة. علي أن أرحل الآن. أراك قريباً».

ردت جايني التحية وتركت الشرفة لتتنزه فوق العشب الأخضر. كان الليل هادئاً والهواء منعشاً، نقياً. واستغرقت جايني في التفكير في أحاسيسها الجديدة. وفي ما يجري في أعماقها من مشاعر لم تألفها من قبل. وفجأة سمعت صوتاً خلفها أنزل فيها الرعب.

«انتظرت منك اشارة لكنك فاشلة في تمثيل دور جولييت»

ضحكت جايني بعصبية محاولة السيطرة على رعبها.

«تحتاج جولييت لضوء القمر لالهامها بالكلام. وأنت بعيد كل البعد عن روميو».

اجابها: «صحيح فأنا أكبره بعشر سنوات. كم كان عمر جولييت؟».

«أظن أنها كانت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرها».

توقف ثيو وقطف زهرة غارديا وألقاها بلطف على رأس جايني وهو يقول:

«كانت جولييت تصغرك سناً. لكنها استطاعت أن تحب حباً عميقاً وكاملاً. هل أنت قادرة على ذلك؟»

«لا أدري. كانت جولييت ناضجة في عمرها لكنني أشك أن ما شعرت به تجاه روميو كان بالفعل حباً حقيقياً».

«تعتقدين أنه لم يكن سوى جاذبية؟ لماذا؟»

« لأنه لم يمض على معرفتهما ببعضهما سوى وقت قصير. والحب الحقيقي ينمو بعد معرفة قوية بين الشخصين».

«ربما كنت على صواب. كم من الوقت تحتاجين كي تحبي شخصاً؟ ثلاث دقائق ؟ أم ثلاثة أيام ؟ أم ثلاث سنوات؟»

أزعجتها السخرية في صوته وأثارتها في الوقت نفسه. فأجابت بسرعة:

«لا أعتقد أن الوقت هو العنصر الأكثر أهمية. درجة المعرفة هي الأهم، على أي حال لا أعلم الكثير عن هذا الموضوع. لم يسبق لي أن أحببت من قبل».

www.elromancia.com

أجاب ضاحكاً:

«صحيح؟ ألم تقعي في حب مدير المدرسة مثلاً أو أحد المطربين الشباب؟»

«لا.لست من هذا النوع».

«لا أصدق أن مشاعرك ما زالت نائمة منذ زمن ولم تصح أبداً. وماذا عن سام الذي ذهب منذ لحظات قليلة؟»

«سام؟وماذا تعني؟»

«هل أنتما أصدقاء فقط؟»

«نعم».

كان من المهم جداً أن تقنعه بهذا الأمر فاستطردت قائلة:

«نعرف بعضنا جيداً ما يمنع أن يكون بيننا أية نزعة رومنطيقية».

«لكن بقولك هذا تناقضين نظريتك عن روميو وجولييت،أليس كذلك؟»

ضمها ثيو بين ذراعيه وتابع قوله:

«اذا كانت المعرفة عنصراً أساسياً للحب،فهذا يجعلك أنت وسام حبيبين بدلاً من صديقين.ولا يخفق قلبك بهذه السرعة عندما يعانقك رجل غريب مثلي».

كانت ذراعاه حول خصرها غير محكمتين لكنها عجزت عن أن تتحرك برغم محاولتها للافلات. وطوق صدرها احساس غريب مسبباً لها ضيقاً في التنفس.وبوجود ثيو بالقرب منها على هذا النحو كانت تشعر بقامته القوية وتشم عطره الزكي.وكان عليها أن تحارب رغبتها في الاستسلام بكل ما تملك من قوة لكنه حررها من قبضته بعد لحظات قليلة وقال بسخرية:

«ليكن هذا درساً لك يا جايني.ابقي الأنوار مضاءة دائماً خلال وجودك مع رجل بمفردكما في ليلة صيف قاحلة.ان زهر الياسمين والغاردينيا لهما عطر مثير يصعب الافلات من تأثيرهما.»

«أشكرك على تحذيرك.سأتذكره دائماً».

وبعد لحظات عديدة ظهرت السيدة باودن على الشرفة وقالت:

«سمعت صوتكما.تعالا إلى الداخل،فالندى كثيف حتى في هذا الوقت من السنة».

www.elromancia.com

الفصل الرابع

وصلت بيني إلى البيت قبل العيد بيوم. اوصلها بعض الرفاق في عصر يوم بلغت الحرارة فيه اوجها.لكن بيني بدت كالعادة جميلة وانيقة.رحب بها الجميع وتبادلوا القبلات وخرجت لتتنزه في الحديقة، معلنة سعادتها بالعودة وكأنما مضت اعوام على غيابها وليس مجرد شهرين.قالت لجايني:

«كم انا سعيدة لوجودي هنا.يظهر انك كبرت يا جايني منذ رأيتك آخر مرة.اقرأ في عينيك اسراراً عميقة.ما هي آخر التطورات في حياتك؟»

«لا شيء يذكر».

اجابت جايني ثم تابعت:

«لا يبقى احد طفلاً كما تعلمين».

«صحيح».

اجابت بيني بذلك مبتسمة.ولفت انتباهها شيء آخر.فانصرفت.

كان من السهل ان تتصرف جايني امام اهلها وكأن كل شيء في حياتها ما زال عادياً. لكن بيني لا يفوتها شيء.

منذ تلك الليلة التي وجدت جايني نفسها بين ذراعي ثيو، اضطرت ان تنظر إلى نفسها ومستقبلها تحت ضوء

جديد.ارغمها ثيو على الانتقال من سن المراهقة إلى عالم الأحاسيس التي تخيفها. كانت تظن انها ما زالت صغيرة لتحب.فها هو ثيو يزعزع ثقتها بنفسها ويقلق حياتها المطمئنة.

كثيراً ما شعرت بعينيه تحدقان بها، ووجدت نفسها تحارب رغبتها في النظر إليه. فكلما يلتقي نظرهما،تفقد جايني اتزانها ويعلو الاحمرار وجهها.

مع قدوم بيني احست جايني ان مرحلة جديدة في حياتها قد ابتدأت.

زار ثيو منزل عائلة باودن قبل العشاء بقليل.

كان من المنتظر ان تعجب بيني بثيو.فهذا شعور كل امرأة تلتقي به. والعكس صحيح. فبيني ليست مجرد فتاة رائعة الجمال فهي ذكية وذات شخصية مليئة بالحيوية ،وبعد العشاء جلست جايني قرب بول يلعبان الشطرنج، بينما انهمك الآخرون بالحديث. كانت جايني ترغب ان تأوي إلى فراشها لكنها خضعت لرغبتها الجامحة في الاستماع إلى صوت ثيو وهي تنتظر انقضاء السهرة بسرعة. أخيراً غادر ثيو ودخل الجميع غرفهم للنوم.وبينما كانت جايني ترتدي ملابس النوم سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتها.دخلت بيني، وراحت تنقل عينيها في الغرفة متأملة كل تفاصيلها ثم قالت:

«لماذا لا تنتقلين إلى غرفتي؟ فانها اكبر.بما انني لن استعملها بعد الآن».

www.elromancia.com

ابتسمت جايني واجابت:

«لكنني مولعة بغرفتي الصغيرة».

«انها اشبه بزنزانة. ربما تناسبك. فانت اشبه براهبة شابة بردائها الأبيض وشعرها المعقوص إلى الوراء.الا ان للراهبة عينين واضحتين، بينما يبدو انك تخفين شيئاً في عينيك.ولا تملك الراهبة شفاهاً مفعمة بالحب مثل شفتيك.من طبع قبلة عليهما؟ لا تخافي لن أبدأ بالتحقيق.لم نعتد من قبل على تبادل الاسرار.انا لا يناسبني البوح بفشل أول حب في حياتي.في اي حال لقد جئت لاستعلم عن هذا القرصان الرائع».

«ثيو؟»

سألت جايني بحذر.

«نعم ثيو. السيد ثيو كارينغتون، ذلك الشاب الطويل الأشقر، الوسيم، الذكي والشديد الثقة بنفسه».

ضحكت بيني بنعومة ثم استطردت قائلة:

«وأنا التي اعتقدت ان عطلة الصيف هذه ستكون مملة.اخبريني يا جايني كل ما تعرفين عنه».

اخبرتها جايني ما تعرفه عن ثيو. لم يكن ذلك إلا القليل.

«رجل اسرار...»

قالت بيني ثم تابعت:

«حسناً اذن.وما رأيك فيه؟»

«رأيي أنا؟»

«نعم.أنت.لديك طريقة رائعة في وصف العناصر الأساسية لشخصية اي فرد.برغم قلة خبرتك في الحياة فانت مفيدة جداً».

تظاهرت جايني بالتفكير ثم قالت:

«اعتقد انه رجل خطير. اظهر لطفاً عارماً تجاه بول،تجاهي،وتجاه اهلي.وفي الوقت نفسه اشعر انه يسخر من الجميع. فهو يجتاز كل القوانين اذا شاء».

همست بيني لنفسها:

للحقيقة ، قرصان!

واكملت:

«وكيف يؤثر عليك؟»

هزت جايني كتفيها واجابت:

«انه يكبرني سناً.لطيف جداً وابتسامته جذابة لكنه في الثلاثين من عمره».

«ستجدين ان الثلاثين هو العمر المثالي للرجل في المستقبل القريب. لاحظت انه معجب بي.انه تماماً ما احتاج إليه هذا الصيف لقضاء وقت ممتع».

بعد ان غادرت بيني الغرفة،أطفأت جايني النور،واقتربت من نافذة غرفتها التي تواجه المرفأ.حتى في الليل كان بوسعها معرفة توروا من بين السفن الأخرى.تساءلت لماذا يبقى ثيو ساهراً كل ليلة حتى ساعة متأخرة.

كان الليل هادئاً.وعند منتصف الليل دقت ساعة الساحة

وتبعتها الاجراس احتفالاً بالعيد.ضغطت جايني على شفتيها محاولة احباط رغبتها بالبكاء.

* * *

تقوم التقاليد في نيوزيلاند على ان يتم تبادل التمنيات بالعيد السعيد بعد تناول طعام الفطور. فيذهب الجميع إلى شاطىء البحر او إلى حيث اختاروا قضاء العطلة.وتغلق معظم محلات التجارة لمدة ثلاثة أسابيع.كان ذلك يثير غضب ايين باودن.لكنه اعتاد على القبول بالأمر.احتفظ السيد باودن بتقاليده الانكليزية وهي الاحتفال بالعيد بعد طعام الغداء.

كان الطقس حاراً مما جعل تناول الطعام صعباً جداً. وككل سنة كانت عائلة باودن البيت حيث يستقبلون أصدقائهم.

من أفضل التحسينات التي قامت بها عائلة باودن لمنزلهم، كان بناء حوض للسباحة تحيطه الاشجار التي تشكل ظلاً يحمي من شدة حرارة الشمس.وأحب الحوض جميع أصدقائهم.

انهمكت جايني في الاعتناء بالضيوف كانت تحمل إليهم المرطبات،وتعتني بالأولاد ولا تفارق وجهها الابتسامة. وتحاول تجنب النظر نحو بيني وثيو اللذين كنا يتحدثان بانسجام.أمر منتظر طبعاً. كانت بيني رائعة كالعادة.حتى فيل تالبوت لا توازيها جمالاً.ابتسمت جايني من جديد وهي تحمل مزيداً من

المرطبات للضيوف.الجميع يتمتعون بوقت سعيد.شعرت جايني بانعزال رهيب. كأن الموجودين حولها يعيشون في عالم خاص تعجز هي عن دخوله.

فجأة سمعت صوتاً خلفها:

«كنت أراقبك.» همس ثيو في اذنها. «يبدو انك تقومين بكل الواجبات.تعالي معي».

ترددت جايني قليلاً:

«لا تخافي لقد سألت أمك فصرحت لك بمرافقتي».

ابتسمت جايني قائلة:

«إلى اين؟»

«ستكتشفين بنفسك».

وصلا إلى غرفة الغسيل حيث لاحظت جايني صندوقاًعلى الارض، داخله ثلاثة كلاب صغيرة، فهتفت قائلة:

«ما أصغر حجمهما.اين وجدتهم يا ثيو؟ فهي طعنة لنا، نحن معشر النساء».

ضحك ثيو وأجاب قائلاً:

«صراحتك هذة تستحق عناقاً.»

حنى رأسه وعانقها.ثم أخذ وجهها بين يديه لينظر في عينيها وقال:

«لا تغضبي يا جايني. أعلم انك عجزت عن الدفاع عن نفسك. تصرفت بسرعة اذ لم أقو على ضبط شعوري».

هزت جايني كتفيها وأجابت:

«لم أمانع.ليست هذه أول مرة».

ضحك ثيو وقال ساخراً:

«ما زلت في اول الطريق.سياتي يوم تلتقين فيه برجل أحلامك ويعلمك كيف تحبين».

«أعتقد أن الحب لا يحتاج للعلم.فهو غريزة طبيعية».

ضحك ثيو وتوردت وجنتا جايني لكنها ابتسمت محاولة السيطرة على مشاعرها.وأجاب ثيو قائلاً:

«أهذا صحيح؟ان الحس غريزة طبيعية.ألم تتعلمي الفرق بين الحس والحب في المدرسة؟»

«طبعاً.ندرس العلاقات الانسانية وعلم الاحياء على السواء».

«انه فعلاً برنامج متقدم اذاً».

أجاب ثيو وهو يتفحص جايني بدقة.ثم امتدت يداه تتلمسان ذراعيها العاريتين.لم تشعر جايني بالخوف بل بشعور مثير يغمر كيانها.تسمرت في مكانها عاجزة عن الحركة.بينما لمس ثيو رقبتها.كان في ودها أن تعانقه.أن تلمس كتفيه الواسعتين لكنها لازمت الجمود.فنظر إليها ثيو قائلاً:

«أيصيبك الجمود؟»

«اذا فوجئت بالأمر فقط».

ضحك ثيو وابتعد عنها.في هذه اللحظة دخلت بيني الغرفة وقالت:

«وما هو هذا السر الكبير؟»

وقع نظرها على الصندوق فقالت:

«كان يجب أن تتخلص منها».

فصاحت جايني:

«بيني!»

«حسناً حسناً.أعرف أنه يستحيل اقناعك بهذا الأمر. كذلك بول وحتى أمي أيضاً.افعلوا ما تشاؤون لكن لا تتوقعوا مني أن أهتم بها».

وخرجت بيني برفقة ثيو بينما بقيت جايني وحدها تفكر بما حدث.هل تعتقد أختها أن باستطاعتها معاملة ثيو المعاملة نفسها التي تلقاها جيف ماكدانولد؟ ستكتشف خطأها عما قريب.

خرجت جايني لتباشر الاهتمام بالضيوف.وصل سام وابتهج قلب جايني لرؤيته.شعرت ان لها من يرافقها اخيراً.ربما سام لا يوازي ثيو في اهميته لكنها تطمئن لرفقته أكثر.فلا يعبث سام بعواطفها كما يفعل ثيو.تساءلت جايني لماذا لا تشعر تجاه سام إلا بعاطفة أخوية؟ فهو وسيم ووجوده يدخل البهجة إلى القلوب. لكن الفرق بينه وبين ثيو،أن ثيو في أوج رجولته بينما سام ما زال في أول الطريق.

بدأ الضيوف يغادرون.ساعد سام جايني على إطعام الكلاب ثم غادر بدوره وبقي ثيو برفقة بيني. قالت بيني مخاطبة جايني:

«أرى بريقاً في عيني سام يدل على عاطفة تجاهك أقوى من مجرد صداقة».

أجابت جايني بالنفي.فاستطردت بيني تقول:

«لكنه يناسبك.فسام سيتخرج كطبيب في المستقبل. تحتاجين لزوج مثله ليعتني بك فأنت تعيشين في عالم

خيالي. عالم الأحلام.خاصة أنك رومنطيقية إلى حد كبير.وهذه صفة خطيرة في عصرنا هذا.وتصديقاً لكلامي.تصرفك تجاه هذه الكلاب الصغيرة. عرف ثيو تماماً أنك ستأخذين على عاتقك الاعتناء بها. فأنت رقيقة القلب إلى حد بعيد».

«لا بد أن ثيو رقيق القلب أيضاً.والا لترك الكلاب تلاقي حتفها».

ارتفع حاجب ثيو بدهشة وأجاب:

«صحيح.فلي قلب رقيق لا أراهن به».

ضحكت بيني معبرة عن رفضها لتصديق ما سمعت.

استمر الحديث بينهم وكانت جايني تراقبها معترفة لنفسها أنهما ينسجمان معاً شخصية وحديثاً.فهما يسكنان العالم نفسه ويتبادلان مواضيع تثير اهتمامهما.كانت بيني تعبر عن شعور خفي تجاه ثيو.شعور باعجاب قوي.أما ثيو...فما زال مسيطراً على عواطفه.لا يظهر حقيقة شعوره.لكنه حتماً معجب بذكاء بيني وجمالها.

* * *

«لم التق برجل يوازي سحره من قبل».

قالت بيني وهي تستلقي قرب جايني على كرسي تحت ظل الاشجار في الحديقة.

لكن جايني لم تكن تريد سماع أي اعترافات فسألت:

«صحيح؟»

عادة لا تصارحها بيني بأسرارها. فهي من النوع الذي يلازم الصمت.

«نعم.هذا صحيح.أتعلمين لماذا؟»

«لا».

«ثيو كارينغتون رجل فاتن.لكنه لا يبالي بالآخرين.يحب الحيوانات والأولاد والكبار في السن. لكنه مع مرور الزمن، اكتسب مقاومة ضد النساء وهذا أمر ظاهر».

سألت جايني:

«وكيف توصلت إلى هذه المعرفة؟»

«منها ناتج عن تجربتي في الحياة.ومنها يرجع إلى حاستي السادسة. لم أضيع وقتي في اوكلاند كما تعلمين...»

توقفت بيني عن الكلام قليلاً ثم تابعت:

«انه خارق الوسامة أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك فله جاذبية رائعة، مستقلة تماماًعن وسامته الظاهرة.أعتقد أن هذة الصفة ترافقه منذ الولادة.لكنه اكتسب هذا الجمود في تعابيره عبر سنوات من التجارب والعلاقات العاطفية.لقد عاش حياة عاطفية متنوعة أعطى خلالها الكثير من نفسه وأخذ الكثير وتركته هذه التجارب كما هو اليوم».

رمقت جايني بيني بنظرة استفهام.يبدو أن بيني ليست واثقة من قدرتها على ترويض ثيو حسب مشيئتها.

«انه فعلاًيثير اهتمامي،فهو متعجرف. غير مبال.ولا يفوته شيء.يقدر الصفات الأنثوية، ولو كان لا يظهر ذلك.أظن ان عطلة الصيف هذه ستكون مشوقة جداً».

ومرت أيام عديدة لم يزر ثيو خلالها عائلة باودن، مما

أغضب بيني وأسعد جايني .كان يؤلمها وجوده حولها.غيابه لم يقض على الألم كلياً بل جزئياً.ولقضاء الوقت خرجت بيني برفقة جيف مراراً وتبين لجايني أن ثيو ما زال يسهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

استمر الطقس في حرارته.وبدأت جايني تقلق لرؤية أمها وقد أنهكها الحر خاصة في فترة الظهيرة حين تبلغ الحرارة أوجها.

أما بول فلم تقلقه شدة الحر أبداً.لا بل كان يتابع تطورات الطقس بواسطة ميزان. فكلما ارتفعت الحرارة اشتدت بهجته.

ما زال السياح يقصدون آواكيبو ويتذمرون من حدة الشمس.

«يتذمر السياح باستمرار».

هكذا قال ايين باودن عند دخوله البيت.واستطرد:

«هطلت الامطار بغزارة السنة الماضية، فتذمر السياح والقوا اللوم علينا.هذه السنة،الشمس مشرقة باستمرار لكنهم ما زالوا يتذمرون».

اجابت جوي:

«ان طقساً كهذا ينهك الأعصاب».

«أتشعرين بالتعب يا عزيزتي؟»

أجابت:

«بدأت أتحمل الحرارة أكثر من قبل.ما رأيك في الذهاب إلى الخليج حيث النسيم يلطف الجو ويخفف من حدة الحرارة».

كانت جوي على صواب.وعندما وصلا إلى الشاطىء كان المكان منعزلاً.

بعد حين لمحت جايني من بعيد ثيو كارينغتون يقترب من الشاطىء.كانت جايني برفقة بول بمفردهما.

وعندما وصل ثيو حيث جايني وبول،ألقى التحية عليهما وسأل عن حالة الكلاب فأجاب بول:

«انها بخير.لقد وجدنا لها أماً ومأوى».

فقال ثيو:

«خبر سعيد».

ثم تابع قائلاً:

«لقد توصلت لمعرفة من تركها على الشاطىء بهذا الشكل».

«صحيح؟»

صاحت جايني،وقد لاحظت الغضب على وجه ثيو.

سأل بول بالحاح:

«ومن؟»

اجابه:

«لا حاجة لك لتعرف ذلك. لكن تأكد أن الأمر لن يتكرر».

ومن خلال التعبير الذي ظهر على وجه ثيو لازم بول الصمت وفعلت جايني بالمثل،عالمة تماماً ان ثيو قد عالج الأمر بطريقته مما جعلها تشعر بالشفقة تجاه الاشخاص المعنيين.نظر ثيو إلى جايني وقال:

«تبدين جميلة اليوم.ألا تحتاجين إلى قبعة لحمايتك من الشمس؟»

قال بول ساخراً:

«لا حاجة لها إلى قبعة اطلاقاً فهي مطلية بسائل يمنع أشعة الشمس من اختراق جلدها».

ابتسمت جايني ولم ترد. كانت تشعر أن وجود ثيو قربها قد أفقدها قدرتها على التصرف بطريقة طبيعية. وضع ثيو ذراعه فوق كتفيها وتابعا معاً سيرهما إلى حيث يجلس السيد والسيدة باودن.

«في رأيي أن بشرتك ملساء كالحرير».

قال ثيو ذلك والابتسامة تعلو وجهه.

أخذ بول بيده كومة من الحجارة وألقاها في البحر قائلاً:

« لقد نجحت في إيصال أربع حجارة إلى الماء. هل أنت قادرة على ذلك يا جايني؟»

فكرت جايني في انها فرصة سانحة للابتعاد عن ثيو قليلاً، فقد بدأت تفقد ما تبقى من اتزانها. أخذت بعض الحجارة بيدها وتوصلت لرمي اثنتين في الماء. فقال بول باستهزاء:

«كانت رميتك أفضل من ذلك بكثير. يبدو أنه عندما تنمو الفتيات يفقدن قدرتهن على الرمي الصحيح.»

ضحك ثيو وأجابت جايني:

«كيف تصدق خرافة كهذه؟ لا أدري كيف ستصبح طبيباً يوماً ما وأنت ما زلت على هذا المستوى من التفكير».

ابتسم بول وأجاب:

«كنت أحاول إيجاد حجة لفشلك».

ثم تابع مغيراً الموضوع ومخاطباً ثيو:

«ثيو! ما رأيك في مسابقتي في السباحة؟ سأسابقك إلى تلك الصخرة هناك».

وانطلق بول بأسرع ما يمكن.

فقال ثيو:

«من اين له كل هذه الحيوية؟»

كانت جايني تشعر بإرهاق، خاصة أن ثيو وضع ذراعه حول كتفيها من جديد مما أرسل في عروقها مشاعر لذيذة حاولت مقاومتها فأجابت بسرعة:

«أرجو أن تكون ممن يجيدون السباحة، فبول سباح ماهر ولن يشفق عليك اذا فشلت في سباقه».

اجاب بثقة: «لا تخافي أجيد السباحة أيضاً. لا أعتقد أنه سيسبقني».

«هل أنت دائماً واثق من نفسك إلى هذا الحد؟»

أطلق ثيو ضحكة خفيفة وأجاب:

«لماذا تسألين؟ هل تزعجك ثقتي بنفسي؟»

«لا أبداً. فإني أحسدك على ذلك».

«من اين لك هذه العقده بالنقص؟ اعتقدت أولاً انها ناتجة عن معاملة أهلك. لكنه اتضح لي أنهم يظهرون مودة عارمة تجاهك».

تكره جايني لهجة ثيو عندما يبدأ بتحليلها. ابتعدت عنه، لكنه سرعان ما التقط ذراعها بقوة وشدها نحوه. صاحت معترضة فبادرها بالقول:

«ليكن هذا درساً لك. اعلمي أني معجب بك كما أنت».

«لكنني لست معجبة بنفسي على هذا الشكل».

تابعا سيرهما ثم قال ثيو:

«غريب كيف أتشوق الى ضمك بين ذراعي. فأنت جذابة، ذات

قامة رائعة وبشرة ملساء ساطعة.كلها عناصر تجعلني أعجب بك إلى حد كبير.ليست شقيقتك الحسناء الفاتنة الوحيدة في عائلة باودن».

عجزت جايني عن التعليق عما قاله ثيو لأنهما اقتربا من حيث كان والداها. فحياهما ثيو واستغرق الجميع في الحديث.

الفصل الخامس

كانت جايني تسبح في الماء عندما سمعت صوت سيارة تترك الشاطىء.وعندما رفعت رأسها لترى بوضوح أكثر،وجدت لشدة دهشتها أن أهلها قد غادروا في السيارة من دون ابلاغها.اقترب منها ثيو وقال:

«لقد غادر أهلك لزيارة عائلة سينكلير.وعدتهم باصطحابك إلى البيت».

«شكراً».

أجابت جايني بصوت جاف،وقد أغضبها انفرادها مع ثيو من جديد. اتهمت أهلها قلبياً بخيانتها.فهرعت تسبح نحو الشاطىء بأقصى سرعتها.كانت تعلم أن ثيو يتبعها.وما برحت أن وصلت الشاطىء حتى أمسكها ثيو بذراعها ضاغطاً عليها بقوة وفي عينيه شرارة غضب شديد.

«ماذا تفعلين؟»

«لا شيء...»صاحت محاولة الافلات من قبضته.«ربما كنت أرغب في زيارة عائلة سينكلير.ألم تفكر في ذلك؟»

«ولماذا؟ قالت لي أمكان زيارة عائلة سينكلير لن تهمك. فكفي عن التصرف كطفلة فقدت دميتها».

يؤلم جايني اتهامها بالتصرف كطفلة بينما الشعور الذي يمزق قلبها هو شعور فتاة ناضجة.تملكتها رغبة في المقاومة فانهالت عليه بالضرب بكل ما لديها من قوة.ثم حاولت الفرار فأمسكها بعنف وألقاها على الرمال.استمرت

www.elromancia.com

جايني تقاوم مما أرغم ثيو على استعمال قوته للسيطرة عليها.استغل الفرصة هذه ليطبع قبلة... لكنها لم تكن...لطيفة بل اعتداء أفقد جايني صوابها وشرعت تصرخ محاولة الهرب.لكن ثيو كان مصراً على بقائها فقال:

«انك تنالين ما تستحقين».

غمر قلبها الخوف.أصبح ثيو عدواً لها وكأنها أيقظت شريراً من أعماقها.كفت جايني عن مقاومته.سرعان ما تلاشت شرارة العنف من عينيه وحلت محلها نظرة شوق وهيام،استجاب لها قلب جايني.فأغمضت عينيها وأسلمت روحها له راغبة في ان يصبحا معاً جسداً واحداً.لكن ثيو ابتعد عنها فجأة وقال:

«آن الأوان أن تعلمي أن اثارة عواطف أي رجل تؤدي إلى متاعب».

«لكنني...»

أوقفها عن الكلام متابعاً:

«حتى لو أنها اثارة بريئة».

تنهد ثيو ثم أضاف:

«تفقدينني صوابي يا جايني،لكني سأقاوم رغبتي الجامحة في امتلاكك.لا تنظري إلي هذه النظرة الكئيبة وكأنني طعنتك في الصميم».

«هذا ما فعلته».

«الحب طعنة لذيذة.لكن هنالك عالم شاسع بين الحب الحقيقي والشعور الذي جرفنا معاً،لم يكن سوى رغبة جامحة لا أكثر».

اغرورقت عينا جايني بالدموع وشعرت بخجل رهيب.

«جايني.دموعك ثمينة جداً ولا أستحقها.اعذريني، لقد نسيت كلياً قلة خبرتك في الحياة.هل تسمعينني؟»

كانت جايني قد استردت انضباطها وجلست شامخة الرأس، محاولة التمسك بما تبقى لها من عزة نفس وكبرياء.

كبرياء منعها من الاعتراف لنفسها بأنها واقعة في حب ثيو،وأنها اعتقدت للحظات معدودة أن الشوق الذي ارتسم في عينيه دليل كاف لحبه لها.بالطبع أخطأت في حكمها.فثيو رجل عركته الحياة، بينما لم تكن هي سوى فتاة ساذجة أثارت فيه نزوة حيوانية، اضطرت لتحمل عواقبها.على الأقل،تصرف ثيو تصرفاً نبيلاً، وحكم عقله قبل ارتكاب غلطة لا تغتفر.كان في وسعه أن يجردها من مبادئها. تلك المبادىء التي أوشكت أن تفقدها في اول فرصة تعرضت بها للتهديد.بدأت تقدر موقف غيرها من الفتيات اللواتي يهبن أنفسهن كلياً لمن يسيطر على قلبهن.لن تشمئز منهن بعد اليوم ولن تسمح لنفسها بالخضوع لهذا الاذلال مرة أخرى أبداً.

«نعم أسمعك ثيو.لكن لا داعي للشرح.ربما أنا جاهلة لكنني لست غبية إلى هذا الحد.لقد سبق أن حذرتني أمي من بعض الوقائع الحياتية.لا بد ان أعترف أنني ما كنت أتوقع...حسناً، انه من السهل نسيانها».

«حسناً!اذاً انتهى الأمر».

وقف ثيو ومد يده ليعاون جايني على الوقوف.توجها معاً إلى سيارته.تجنب كلاهما النظر إلى الآخر،وعندما التقت عيناهما ابتسم ثيو ثم اقترب من جايني وطبع قبلة على وجنتها قائلاً:

www.elromancia.com

«يوماً ما،سيفقد رجل عقله لأجلك.حتى ذلك اليوم لا تخاطري بإثارة عواطف أي رجل كان.قليلون هم الرجال الذين في وسعهم مقاومة غريزتهم».

«تعني أن أمثالك قليلون.على أية حال أشكرك».

«تشكرينني لأنني لم أستغل الموقف؟»

«نعم».

ضحك ثيو وأجاب:

«لا يفقد كل الرجال صوابهم أول ما تستجيب لهم فتاة،برغم أنه لإفادتهم الشخصية أن يتظاهروا بذلك.على أي حال أنت في مأمن برفقتي.ليس من عادتي اغراء فتاة في سن الدراسة مثلك، حتى لو أني فقدت صوابي اليوم وعاملتك كامرأة».

انكمش قلب جايني لسماعها ما قاله ثيو وتحول حبها له إلى كراهية.لم تعد تريده بعد اليوم.لتأخذه بيني اذا شاءت أو اذا استطاعت أن تجد الطريق إلى قلبه.

تحول نظر جايني إلى البحر بعد أن مات الحديث بينهما وطردت من رأسها كل الأفكار التي تخص ثيو.وفي المساء بعد أن انفردت جايني بنفسها استرجعت تفاصيل ما حدث على الشاطىء عصر هذا اليوم التاريخي.كانت ترتدي ثوباً للنوم فضفاضاً،هديتها للعيد من بيني.كان رائع الجمال ويضيف إليها شعوراً بالانوثة.أرادت أن ترتديه لأنه يذكرها بالشوق المسجون في عيني ثيو،فهو أيقظ المرأة النائمة في داخلها.أرادها له.فتلك اللحظات التي سرعان ما نسيها ثيو،زودتها بثقة لن تفقدها طيلة حياتها. «أحبه».همست في

صمت وكأنها تخاطب ظلام الليل،وانهمرت الدموع من عينيها.مضى وقت طويل قبل أن تستسلم للنوم.

وفي صباح اليوم التالي،كان نادي الزوارق يستعد لسباقه السنوي.غص المرفأ بالمتسابقين وزوارقهم.استعد الجميع لحضور هذا الحدث المشوق.وصلت جايني وسام،وسرعان ما انهمك سام بالاستعداد للسباق،ووجدت جايني نفسها برفقة كارين مور، تعاونها في بيع المرطبات وغيرها.

«ما هي الا ساعة وننتهي من هذا العمل.تبدين جميلة يا جايني».

ابتسمت جايني موافقة.كانت ترتدي تنورة متعددة الألوان وقميصاً قطنياً ذهبي اللون.

«أظهر رجال الاطفاء قلقاً كبيراً هذه السنة.يخشون وقوع حرائق نتيجة الجفاف الحالي.تتوق الأرض للأمطار...»

واستمرتا على هذا الحال، تتبادلان الأحاديث والنكات ثم قالت كارين:

«ها هو الشاب الأنيق برفقة فيل تالبوت.هل هو صديق عائلتك؟ أتعتقدين أنه سيشترك في السباق؟»

قبل أن تجيب جايني ظهر ثيو وبرفقته بيني مرتدية بنطلوناً قصيراً وقميصاً.

سألت كارين:

«لا تبدو أختك رائعة كالعادة.ما نوع علاقتها بثيو؟»

«لا أدري بالضبط. فثيو من النوع الذي لا يكتفي برفقة فتاة واحدة».

«يفضل احاطة نفسه بعدة حسناوات».

ضحكت كارين ثم استطردت قائلة:

«تصر أمي على أن ارافق شاباً آخر غير مارك.لكن الحقيقة هي أنني لا أرى مبرراً لذلك.تعرفت على مارك منذ أربع سنوات وما زلنا سوياً.أشعر بفراغ كبير من دونه.»

ابتسمت جايني.كارين ومارك شخصان نادران.تقابلا واكتملت أحلامهما.فرفضا تغير الوضع بينهما.سيتزوجان بعد سنوات معدودة ويعيشان سعيدين إلى الأبد.شعرت جايني بالحسد.فكارين لن تعرف أبداً الحزن الذي تعاني منه جايني،والذي أصبح جزءاً من حياتها.يتمزق قلبها لرؤية ثيو وبيني معاً.

اقتربا منها بعد لحظات قليلة وعلى وجه ثيو ترتسم ابتسامة ساخرة وفي عينيه غموض،كأن الشوق الذي سكن داخلها البارحة لم يكن الا وهماً في مخيلة جايني. ابتسمت جايني وردت التحية ثم همت بالذهاب عندما نادتها بيني قائلة:

«سيشترك ثيو في السباق وهو في حاجة لمن يدله على الطريق ويحذره من الصخور.فما رأيك يا جايني؟أنت تعرفين الطريق جيداً».

وثيو لا يبالي.رمقها بنظرة قاسية قبل رحيله وكأنه يؤنب قلة ثقتها به.

لم يربح السباق لكنه أبدع في محاولته.وقال مارك بعد عودته من السباق:

«لو كنت أملك توروا لرحلت بها حول العالم انها سفينة رائعة ومتينة. ثيو بحار ماهر،يعرف تماماً كيفية قيادة سفينته وهي تتجاوب مع طلباته».

وضع سام ذراعه فوق كتفي جايني وقال:

«أرى أنك تحتاجين لشراب مرطب يا جايني.فماذا تفضلين؟».

«عصير الليمون،شكراًيا سام».

ذهب سام لشراء العصير وتوجهت جايني برفقة كارين ومارك للجلوس تحت ظل الأشجار.فقالت كارين:

«أنظري يا جايني.ألا تعتقدين أن بيني وثيو يتمتعان برفقة بعضهما؟»

ألقت جايني نظرة سريعة وأجابت:

«نعم،يبدو أنهما ينسجمان معاً إلى حد بعيد».

«يتمتع كلاهما بحسن المظهر.بيني أشبه بعارضة أزياء وهو كقرصان أسمر جذاب، مثير وشديد الثقة بنفسه».

أطلقت كارين ضحكة ثم أضافت:

«انه مثير جداً مما يجعله لا يناسبني أبداً.فهو يملك شخصية صعبة الاستيعاب.أما بيني فتناسبه أكثر لأنها تعرف كيف تتصرف مع الرجال.بالنسبة إلي،أفضل رجلاً مثل مارك، مجرداً من الغموض،سهل المعشر وبعيداً عن التعقيد».

أعجبت جايني بالطريقة التي وصفت كارين بها ثيو وتساءلت كيف يقضيان وقتاً ممتعاً.وحين رست في المرفأ آخر سفينة،كانت جايني قد فقدت ما تبقى لها من الجهد جسدياً وعقلياً حتى الألم داخلها قد أخفته.كان من السهل،كما اكتشفت،أن تخفي كآبتها وتتظاهر بالفرح.لكن سام سألها مستفهماً:

«هل أنت بخير؟»

«طبعاً لماذا؟»

«تبين لي أنك منزوية على نفسك أكثر من العادة.لم يسبق أن لازمت الصمت إلى هذا الحد من قبل».

أجابت جايني بقسوة:

«تعلم أنك لست مرغماً على الخروج برفقتي».

تنهد سام وقال:

«لا شك أن الوضع تغير بيننا.لا يبقى شيء على حاله كما تعلمين.اعتقدت أن صداقتنا ستستمر في النمو لكنني أخطأت.فأنت تغيرت كثيراً يا جايني.كما أنني لم أعد الشخص نفسه».

«اذاً؟»

«اذاً لنترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي».

وعندما انفردت جايني بنفسها بدأت تستعد لحفلة المساء. ساورها شعور حزين أن صداقة الطفولة التي جمعتها مع سام لسنوات عديدة أوشكت أن تنتهي.فكما قال سام:كل شيء يتغير وهي فعلاً تغيرت إلى حد بعيد.ثيو كارينغتون هو السبب.ارتدت ثوباً للسهرة يناسب قامتها ولون بشرتها.لكنها احتارت كيف تصفف شعرها.فجأة دخلت بيني الغرفة.

«دعيني أصفف شعرك».

وما هي الا لحظات حتى حولت بيني شعر جايني إلى تسريحة تتناسب مع الثوب،وتضيف أناقة لم تألفها جايني من قبل.

«تبدين رائعة. دعيني أحضر لك بعض أدوات الزينة».

ذهبت بيني وأحضرت قرطاً وبعض أدوات

التجميل.وعندما انتهت كانت جايني أشبه بحسناء رائعة.فقالت بيني والابتسامة تعلو وجهها:

«لن يعرفك سام.انتبهي ربما تكون الصدمة قاتلة».

ضحكت جايني وهي تنظر إلى نفسها في المرآة.تبدو مختلفة تماماً.شعرت بسعادة لا توصف،خاصة ان ثيو سيراها على هذا النحو. على الأقل لن يتذكرها كما تبدو عادة أشبه بصبي في بنطلون قصير وشعر مهمل.وغادرت عائلة باودن لحضور حفلة نادي الزوارق. أعطت بيني علماً لأهلها ان ثيو سيتولى أمر إحضارها إلى البيت بعد الحفلة.كانت بيني تتألق في ثوب رائع، فلا حاجة لها لأي مساعدة اضافية لتحسين منظرها.وتذكرت ما قالته بيني فانكمش قلبها واضطرت لاخفاء وجهها كي لا تبوح عيناها بالألم العميق الذي يعذبها.كان الطقس ما زال حاراً.لكن نسمة الهواء الآتية من البحر كانت تلطف الجو.وفي طريقهم إلى الحفل،تأملت جايني الطبيعة حولها.ما زالت الأرض تنتظر الأمطار بفارغ الصبر.

«نحتاج للامطار بشدة.» قالت جوي وكأنها قرأت أفكار ابنتها. «زيز الحصاد يملأ الغابة.أتت به الحرارة والجفاف باكراً هذه السنة».

توقفت السيارة عند مدخل النادي وتوجه الجميع إلى الداخل، الهواء يفوح برائحة اللحم المشوي،والفرقة تعزف موسيقى يرقص لها القلب.اجتمع شمل جايني وسام ومارك وكارين وغيرهم من الأصدقاء.أظهر الجميع دهشتهم لما تبدو عليه جايني من روعة وسحر.

أما سام فلزم الصمت.لم تعارض جايني صمته بل رحبت به لأنها كانت تتجنب الحديث عن علاقتهما.وفي زاوية ما من القاعة كانت بيني برفقة ثيو.رمقتها جايني بنظرة سريعة وحاولت أن لا تكررها. من الطبيعي جداً أنهما يقضيان أسعد الأوقات معاً.

سألها سام وهما يرقصان:

«ما بالك لا تتكلمين؟»

«آسفة يا سام.أعلم أنني رفيقة مملة».

«للحقيقة أفضل صمتك على الاستماع إلى كارين طيلة المساء.لا أدري كيف يتحملها مارك».

نظرت إليه جايني بدهشة.لم يسبق لسام أن كان لاذعاً بكلامه من قبل فأجابته:

«أمر اعتاد عليه.ألا تعتقد أنها أمسية ناجحة؟»

«يا عزيزتي،أمسية رأس السنة تنجح دائماً».

«يظهر أن الجميع يقضون وقتاً ممتعاً».

«على الأخص ثيو وبيني».

أومأت جايني برأسها وغيرت الموضوع.

خلال الحفلة رقصت جايني مع والدها ثم وجدت نفسها بصحبة مجموعة من الاصدقاء بينهم ثيو وبيني. كانت جايني تحتسي شراباً من عصير الحامض وتستمع إلى الأحاديث المختلفة.لاحظت أن بيني يغمرها السرور والبهجة، وفي عينيها بريق لا يهدأ.تساءلت جايني عما يجري في حياة شقيقتها التي كانت دائماً مسيطرة على حياتها العاطفية.ويبدو الآن أنها استسلمت كلياًلجاذبية ثيو وباتت سجينته أما بالنسبة إليه فيصعب قراءة

أفكاره.كان وجوده يملأ القاعة. ترى ما هو السر وراء جاذبيته التي لا تقهر.لاحظت جايني امرأة تحاول لفت انتباه ثيو.كانت في متوسط العمر،نحيلة وأنيقة.وحين التقى نظرها بنظر ثيو اقتربت منه قائلة:

«سيد كارينغتون!أنا سارة تورنر.لقد تقابلنا خلال حفلة،أعدها الناشرون لترويج كتابك الثاني».

ساد الصمت بينما تابعت السيدة تخاطب الجمع الذي يحيط بثيو:

«أمر مثير،وجود السيد ثيو برايدي في رفقتكم.أتنوي اصدار كتاب جديد محوره هذا المكان يا سيد كارينغتون؟»

www.elromancia.com

الفصل السادس

انتهت الحفلة وتوجهت جايني برفقة سام إلى السيارة لتعود إلى البيت.أشارت الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل. كانت المفاجأة التي تلقاها الجميع في الحفلة مستولية على أفكارها.

ثيو برايدي،الكاتب المشهور.كتب أربع روايات لاقت رواجاً كبيراً.وحسب قول النقاد،تحتوي هذه الروايات على وقائع حقيقية من حياة الكاتب.كانت جايني قد قرأت كل كتاب اصدره ثيو برايدي.ومعرفتها لثيو كارينغتون جعلتها تؤيد قول النقاد بلا أي شك.أظهر ثيو غضباً شديداً عندما أزيح الستار عن شخصيته المستترة.وحاول بلطف التخلص من السيدة تورنر.وعندما كان يرقص مع جايني جعله صمتها يسأل مستفهماً:

«ما بالك؟هل فقدت لسانك؟»

«لا.» أجابت بأدب «لكنني أجهل كيفية مخاطبة كتاب مشهورين مثلك.آسفة».

ابتسم ثيو وأجاب:

«هل استنتج من كلامك أنك غاضبة علي؟»

«لا طبعاً.ولماذا أغضب عليك؟»

«ربما كنت تفضلين معرفة سري الرهيب مني شخصياً بدلاً من اكتشاف الحقيقة على يد شخص غريب».

شعرت جايني باستياء فور معرفتها للحقيقة لكن بما أنها لا تعني شيئاً لثيو،فليس هناك مبرر لاعلامها عن هويته الحقيقية.فأجابت رداًعلى قوله:

«ليس هناك ما يجبرك على أن تكشف لي أي سر من أسرارك».

«صحيح.عادة أفضل استعمال اسمي الأصلي خاصة خلال السفر.اذ يتصرف الناس بطريقة مصطنعة عند وجودهم مع أي كاتب محترف.يعتقدون أنني أدون كل المعلومات التي يبيحون بها عن أنفسهم.في أي حال لنتحدث عنك الآن.تبدين رائعة الليلة. أخبرتني بيني أنها سبب هذا التطور».

«صحيح.يسعدني أن التغير يروقك».

«يروقني؟ لا أعتقد أن ذوقي يهمك.من الارجح أنك تحاولين اعجاب سام.أظن أنك نجحت في محاولتك.تأكيداًعلى ذلك،نظرة سام العدائية التي رمقني بها منذ لحظة».

تمنعت جايني عن نفي الموضوع وهزت كتفيها لا مبالية. جذبها ثيو نحوه بشدة قائلاً:

«لنعطي غيرته اذاً مبرراً أكبر.ما رأيك؟»

وضع ثيو وجنته فوق وجنة جايني، محكماً قبضته حول خصرها ، تملك جايني غضب شديد لكنها ما برحت أن استردت السيطرة على نفسها ونسيت أنها بين ذراعيه. وفي هذا الحين بدأت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً رومنطقياً وخفتت الأنوار. ارتعشت جايني

www.liilas.com

حين شعرت بأنامل ثيو تلامس شفتيها.جذبها نحوه بقوة جعلتها تبتعد عنه قائلة:

«ثيو!»

لكنه تجاهل نداءها وشدها نحوه من جديد مبتسماً.فصدته جايني محاولة الفرار.نظر إليها ثيو بسخرية وقال:

«يا لك من جبانة».

«ربما لكنني لم أفقد صوابي».

«مخطئة،فلو لم تفقدي صوابك لما رقصت معي.فأنت متهورة تماماً مثل أختك».

كان صوته قاسياً وعيناه مجردتين من أي لطف ونعومة.حاولت جايني استرداد أنفاسها.وقبل أن تسأله عن معنى كلامه سطعت الأنوار من جديد وانتهت الموسيقى.أمسك ثيو بيدها وأعادها إلى أصدقائها.كم كرهته وتمنت لو تنهال عليه بالضرب ثم تطلق العنان لدموعها السجينة.

بعد اكتشاف هوية ثيو الحقيقية أصيب الجميع بالدهشة.بات ثيو محور الحديث.تساءل الجميع عن ثروته،عن حياته المثيرة،عن القصص في كتبه.اشمأزت جايني من فضول الناس وثرثرتهم.أسعدها أن سام لم يصب بالعدوى نفسها.لكن سعادتها كانت قصيرة المدى.ففي طريقهما إلى البيت سألها سام:

«هل أخبرك ثيو عن السبب وراء اخفائه لشخصيته الحقيقية؟»

«أراد المحافظة على عزلته. هو في الحقيقة ثيو كارينغتون. ثيو برايدي اسمه الفني فقط».

لكن سام قال بلوم:

«ما زلت أعتقد أنه أخطأ في تصرفه.ربما أراد أن يكون موضوعياً.فأي كاتب يكتب مثل رواياته يحتاج إلى العزلة».

«أرجو ألا تبدأ أنت أيضاً بتحليله».

قالت جايني ذلك وقد أغاظها ما سمعته طيلة الحفلة من اقتراحات وافتراضات حول حياة ثيو.

«كما تريدين.لكن يكفي النظر إليه لمعرفة خبرته الواسعة في الحياة.»

«أعلم ذلك.في أي حال لماذا يهمك أمره إلى هذا الحد؟ اتخشى أن أكون واقعة في حبه؟»

قالت جايني ذلك وهي تعلم أنها تطرقت الى موضوع خطير.فسام حذق في تحليله للعلاقات الانسانية.أخافها صمته لوهلة واعتقدت أنه اكتشف سرها لكنه أجاب بحذر:

«لا.لكنني واثق أنه يدهشك.فهو رجل يثير الدهشة.وهذه ميزة تساعده على اكتساب أفكار جديدة لروايته.يبدو أن له تأثيراً قوياً على بيني.فلأول مرة في حياتها تقابل بيني رجلاً لم يفقد عقله لأجلها.أمر شتت ثقتها بنفسها اذ تجهل كيف تقوى عليه».

«ليست بيني بلهاء إلى هذا الحد.صحيح انها معجبة بثيو لكنه شعور متبادل ألا تعتقد ذلك؟»

«نعم، قليلون هم الذين لا يتأثرون بسحر بيني لكن يعتبرها البعض قاسية وخادعة.فهي كالوردة من دون عطر. أشبه بتلك الازهار الجميلة الحديثة.تبدو رائعة وتعجب الجميع.لكن تجدين أن الجميع يفضلون الازهار العادية

المألوفة التي تنمو في حدائقهم فرغم مظهرها الأقل جمالاً فإن عطرها أذكى ولونها أكثر عمقاً».

عجزت جايني عن الكلام.لم تتوقع أن يكون وصف سام لبيني على هذا القدر من القساوة.لكنها شعرت بفرح خبيث لأنها اكتشفت أن هنالك من ينجو من جاذبية بيني.أنبها شعورها الخائن تجاه شقيقتها خاصة عندما تذكرت كيف عاونتها بيني على تحسين مظهرها فأجابت سام بعد لحظات قليلة:

«ألا تعجبك بيني؟»

«طبعاً تعجبني كثيراً.لكنني لا أعتبرها كاملة كما تعتقدين أنت.عليك أن تكفي عن جعلها مثلك الأعلى.فإن كان مرادك الانطلاق بمفردك في هذه الحياة عليك أن تدركي أنك انسانة تتحلين بميزات خاصة بك.ميزات قيمة وذات شأن.حان الوقت ان تتحرري من ظل شقيقتك».

كان صوته ساخطاً لكنها كانت تعلم ما يقصده سام شعرت بمودة عميقة نحوه.فهو يحاول دعم ثقتها بنفسها برغم طريقته العشواء.وعندما وصلا إلى البيت، عانقها سام فاستجابت لعناقه. لكنها كانت تفكر في ثيو واغرورقت عيناها بالدموع.كانت تتمنى لو أن شعورها نحوه لم يكن قوياً إلى هذا الحد.

«بمن تفكرين؟»

سألها سام فجأة ثم تابع قائلاً:

«أعلم أنك تفكرين بشخص آخر».

همست جايني:« آسفة.»

«لماذا؟ لا سبب للأسف ليس من حقي أن أسأل ولست مضطرة للاجابة. تصبحين على خير».

«تصبح على خير يا سام».

قالت جايني ذلك ثم اقتربت من سام وعانقته.ضحك ثم اتجه نحو سيارته ورحل.هرب النعاس من عيني جايني واستلقت على العشب وبقربها شاي. كان الليل هادئاً،يفوح عطر الازهار في الحديقة وفي السماء تلمع النجوم كالحجارة الكريمة.تخلت جايني عن أحاسيسها المتشابكة لتتأمل جمال الطبيعة حولها.غمر كيانها شعور بالطمأنينة.مرت دقائق معدودة بدت وكأنها ساعات.تسرب النعاس إلى عينيها ونهضت لتأوي إلى فراشها،وفجأة لمحت بيني في ذراعي ثيو، يعيشان لحظة مفعمة بالحب والشوق.تجمد الدم في عروقها وحاولت الهرب لكن شاي قفزت أمامها متجهة إلى بيني.ضحكت بيني وأخذت شاي بين ذراعيها قائلة:

«جايني.تعالي لقد رأيتك».

ارتاحت جايني لأن الليل اخفى استيائها الظاهر على وجهها. فتوجهت نحو بيني وثيو راجية ألا يخونها صوتها المرتعش.

سألتها بيني:«ماذا تفعلين هنا وفي هذه الساعة؟»

فأجابت جايني مبتسمة:

«كنت أتأمل النجوم.المعذرة لم أقصد مقاطعتكما.لم أعلم بوجودكما هنا».

ضحكت بيني وابتسم ثيو قائلاً:

«هل قضيت وقتاً ممتعاً؟»

أغضبها تصرفه اللامبالي وكأنه يريدها أن تعلم أن من حقه اغواء شقيقتها واغوائها في الوقت نفسه دون الشعور بأي خجل.«يا له من مخادع»فكرت في ذهنها.من الطبيعي أنه لم يذكر لبيني تصرفه العاطفي تجاه أختها الساذجة.وهو واثق تماماً بأن جايني لن تقوى على مصارحة بيني بالحقيقة.ربما يحاول ثيو اكتساب أفكار جديدة لروايته.حسناً! فكرت جايني أرجو أن تظهر بيني قدرتها على صده. وبالنسبة إليها سيجد أنها لن تسمح له بمجرد لمسها بعد الآن.رفعت رأسها بغضب وأجابته باستهزاء:

«نعم.أمضيت وقتاً سعيداً.لا شك ان هذه الأمسية علمتني الكثير».

سألت بيني:

«صحيح.أعتقد أن الجميع يشاركك هذا الرأي.هل أنت ذاهبة للنوم الآن؟»

«بكل تأكيد.تصبحان على خير».

دخلت جايني غرفتها وما زال قلبها يخفق بسرعة حتى سمعت خطواتهما تبتعد فهدأت قليلاً.وقبل أن يغلبها النوم.صممت جايني على أن تبعد ثيو عن حياتها كلياً.فهو يهدد سلامة مستقبلها وطمأنينته.وما عليها الا أن تتذكر أنه ثيو برايدي الكاتب المجنون.هكذا تسيطر على قلبها الطائش.في أي حال فكرت جايني أن ما يشدها إليه ليس سوى جاذبية سطحية.ليست هي أول فتاة تقع في مصيدة رجل وسيم ومتهور مثل ثيو.لكنها ما لبثت أن ناقضت أفكارها فثيو لم يحاول خداعها

حتى أنه حذرها.فلماذا تتهمه بالخيانة. ربما الخيانة صادرة من نفسها،مما كانت تتمناه،من رجائها أن يعتبرها ثيو أكثر من مجرد جاذبية سطحية.لم يظهر لها ثيو أي حب حقيقي ولا شيء يمنعه من اغواء بيني.رغم أن تصرفه تعوزه اللباقة.

* * *

«هل أحرجنا موقفك؟»

سألتها بيني في صباح اليوم التالي.كانت جايني ما تزال في فراشها فأجابت:

«لا.لكن من المستحسن انذار المارين بوجودكما لتفادي أي احراج».

ضحكت بيني وأجابت:

«أنضع يافطة تقول:ممنوع المرور؟»

اقتربت بيني من النافذة لتلقي نظرة إلى الخارج واستطردت قائلة:

«يذهلني هذا الرجل.لأنه لا يكترث.جعلني أشعر وكأني أطارده وأنه استجاب لمطاردتي لأنها تروق له.لا يعجبني هذا الأمر أبداً».

أومأت جايني برأسها وقالت:

«أفهم شعورك».

ابتسمت بيني وأجابت:

«لكنني مصممة على اخضاعه لرغبتي. ما هي إلا مسألة وقت. كيف تلقيت المفاجأة عن هوية ثيو الحقيقية؟»

www.elromancia.com

«للحقيقة لم يدهشني الخبر. فلم أصدق يوماً أن ثيو مجرد بحار متشرد».

«أفهم ما تعنين. فهو حيوي وذو مقدرة قيمة على الخلق والابداع. أمثاله لا يكتفون بحياة التشرد من دون أي هدف. هل قرأت إحدى رواياته؟»

أومأت جايني برأسها وأجابت:

«نعم. وأنت؟»

«قرأت جميع رواياته. انه كاتب موهوب. لا شك أن لديه من المال ما يؤهله لاقتناء سفينة رائعة مثل توروا يطوف بها العالم».

وعندما أنهت بيني حديثها لازمت جايني الصمت اذ اكتشفت ما كانت تخشاه لمدة طويلة: وقوع شقيقتها في حب ثيو. يدل حديثها على أنها بنت قصوراً على الرمال. تحلم بيني بأن تصبح زوجة لثيو في المستقبل. تقلص قلب جايني وتشابكت الأفكار في رأسها. فكرة زواج بيني من ثيو أقسى من أن تتحملها. أغمضت عينيها وحاولت النوم من جديد لكن توتر أعصابها منعها من الاسترخاء. عادت بيني إلى الغرفة وفي يدها صينية محملة بالقهوة والخبز المحمص. كانت جايني قد توصلت إلى نتيجة واحدة بعد كل التفكير. شعورها نحو ثيو أقوى وأعمق من مجرد اعجاب وجاذبية سطحية. فعندما رأته يعانق بيني غمر كيانها شعور بالأسى وأحست كأن روحها غادرتها. أهذه المعاناة ضرورية لنضوجها كامرأة؟ أعليها أن ترى جميع أحلامها تتلاشى أمام الحقيقة المرة؟

بالأمس قبل أن يدخل ثيو حياتها كانت تعتقد أن الحب

يعني السعادة، التقاء عقلين وجسدين وروحين، مشاركة حنان لشخصين. ربما هذا ما حصل مع ثيو الانسان الذكي، اللبق، برغم لومه وسخريته لكن ذكريات تلك الأوقات السعيده، شوهها الألم والأسى وتلاشي الأوهام وموت الأمنيات. رؤية ثيو مع بيني نزاع عقلي وروحي أقوى من أن تتحمله جايني.

قالت بيني:

«تبدين كئيبة وشاحبة اللون. أتعانين من قلة النوم؟»

«لا. انها كثرة التفكير فقط».

ضحكت بيني وقدمت القهوة لجايني قائلة:

«أذكر كثرة التفكير التي يعاني منها المراهقون. هل قررت ما ستفعلين؟»

«لا. لا أعتقد أنني سأقوم بأي شيء يذكر فلا أصلح لشيء».

«هراء. تعلمين جيداً أنك حصلت على علامات جيدة في اللغة الانكليزية والتاريخ والموسيقى. انطلاقاً من هذه الفكرة، حاولي اختيار حقل ترغبين العمل فيه».

«أحب المطالعة والسفر في البحر والصيد والعمل في الحديقة، وحل الكلمات المتقاطعة».

ابتسمت جايني لرؤية الدهشة على وجه شقيقتها. لكن بيني قالت:

«حسناً. انها بداية على الأقل. لا تنسي أنك تحبين الموسيقى أيضاً. دليل على ذلك مجموعة الاسطوانات المتعددة والمختلفة التي تملكينها. لا بد أن هناك حلماً يداعب مخيلتك منذ الصبا».

«أحلم بالسفر على متن سفينة أطوف بها جزر المحيط».

«ولكن ما هو حلمك الكبير بالنسبة إلى عمل؟»

«لم أحلم بشيء خاص. أريد أن يكون عملي مفيداً ومثيراً».

نظرت إليها بيني باعجاب وقالت:

«أفهم ما تعنين. تنظرين الى مستقبلك بنظرة جدية، لكن مشكلتك الوحيدة هي قلة ثقتك بإمكانياتك الشخصية، وانعدام مؤهلاتك العلمية. ما رأيك في الالتحاق بالمعهد التجاري في أوكلاند؟ فعندما تتخرجين، تجدين مجالات عديدة للعمل. سيكون بوسعك العمل على الآلة الكاتبة والاختزال ومسك الدفاتر. ربما يمكنك العمل كسكرتيرة لثيو خلال سفره».

ضحكت بيني وأرغمت جايني نفسها على الابتسام. ثم أجابت:

«أنت على حق. يجب ان أتدرب على أي عمل ما، حتى لو كان يعني ذلك أني سأعمل في مكتب طيلة حياتي».

«كثيرون يتمتعون بالعمل في المكاتب. هيا، اشربي قهوتك ولنذهب نبشر أهلنا بالخبر».

تلقى والدا جايني الخبر بفرح كبير وقالت أمها:

«عليك أن تسكني، خلال السنة الأول على الأقل، في بيت عمتك كاترين».

لا تمانع جايني السكن مع عمتها، فهي تشعر نحوها بمودة كبيرة.

«اتعتقدين أنها لا تمانع في وجودي معها؟»

«لا طبعاً. يسعدها وجودك معها. فهي ترحب برفقتك كما تعلمين. هل أنت واثقة تماماً من قرارك بالذهاب إلى أوكلاند؟»

«نعم. بكل تأكيد. فكما قالت بيني، أحتاج لتدريب عملي».

«حسناً اذاً. عليك أن تعدي نفسك. أولاً يجب شراء ثياب مناسبة».

تساءلت جايني عما اذا كانت أمها تلاحظ ترددها في الذهاب إلى أوكلاند والالتحاق بالمعهد التجاري. حاولت أن تتظاهر بالفرح لتوصلها إلى اعتماد قرار نهائي يخص مستقبلها، لكنها قلبياً كانت تدفن كآبة تكاد أن تقضي عليها.

وفي الأيام التالية خرجت بيني برفقة جيف ماكدانولد مراراً عديدة قبل أن تعلن انتهاء علاقتهما. شعرت جايني بالشفقة تجاه جيف. لا بد أنه تلقى درساً قاسياً. انهمكت جايني بالاستعداد لانتقالها إلى أوكلاند محاولة طرد ثيو من أفكارها كلياً.

وانهمك ثيو في أموره الخاصة مما منعه من زيارة عائلة باودن لأيام عديدة. حاولت بيني اخفاء تعاستها لعدم رؤيته. خاصة انها اكتشفت من أصدقاء أمها أنه خرج برفقة فيل تالبوت مرات عديدة. وتعلق بيني بثيو بات أمراً علنياً. وقلة اهتمام ثيو بالموقف بدأ يمزق بيني ارباً، لكنها احتفظت بيأسها لنفسها ورسمت ضحكة مصطنعة على وجهها.

كرهت جايني ثيو لاذلاله شقيقتها على هذا النحو. خاصة أنه حاول خداعها أيضاً. وأيقظ في أعماقها مشاعر لا تقوى على احباطها. ثيو كارينغتون انسان حقير، تماماً كما وصف نفسه في رواياته، خاصة فيما يخص علاقاته مع النساء. فهو يوقعهن في حبه ثم يتركهن بلا رحمة، غير مبال بدموعهن وتوسلاتهن.

لشدة دهشتها اكتشفت جايني أن أمها أعدت لها موعداً مع المسؤولين في معهد التجارة في أوكلاند وطلبت إلى ثيو أن يصطحبها إلى أوكلاند ويعيدها إلى البيت بعد يومين. اعترضت جايني بيأس لكن أمها أصرت قائلة:

«جايني.هذه أفضل طريقة.والدك عاجز عن اصطحابك إلى اوكلاند فهو لا يحتمل الحرارة في المدينة.سترافقك عمتك كاترين إلى مكان المقابلة وستعتني بك.وثيو مضطر بسبب عمله الى الرحيل إلى أوكلاند،وقد رحب بفكرة اصطحابك».

قبلت جايني بالأمر على مضض ثم سألت:

«ومتى موعد المقابلة؟»

« بعد يومين.يود ثيو الرحيل غداً باكراً قبل أن تشتد الحرارة.فعليك أن تأوي إلى فراشك في ساعة مبكرة هذا المساء».

وافقت جايني على هذا الاقتراح وهمت بالدخول إلى غرفتها،وفي طريقها سمعت بكاء آتياً من غرفة بيني.

ترددت جايني قليلاً. احتارت في أمرها.فاذا دخلت الغرفة ربما سيسبب تطفلها احراجاً لموقف بيني،لكنها لا تقوى على ترك شقيقتها تبكي على هذا الشكل من دون أن تحاول التخفيف من حزنها.فقررت الدخول.كانت الغرفة مظلمة،وعندما دخلت جايني، توقف البكاء فقالت:

«هذا أنا جايني.هل تحتاجين لشراب أو اي شيء آخر؟»

«ارحلي عني يا جايني.أتركيني في همي».

«لكنني لا أقدر على ذلك.أخبريني عما يعذبك».

«لا شيء».

ولازمت جايني الصمت منتظرة أن تهدأ شقيقتها التي سرعان ما توقفت عن البكاء وجففت دموعها عن خديها وجلست في فراشها تنظر إلى البعيد.

فجأة أدركت جايني الحقيقة المرة.ثيو هو سبب بكاء بيني وتعاستها.سيؤلمها جداً اعتراف بيني بالسوء الذي سببه ثيو.فبعد لحظات قليلة قالت جايني:

«آسفة».

وامتدت يدها تلمس يد بيني بلطف فقالت بيني:

«أنت شقيقة غالية.لكنني سأعاون نفسي في هذه الحالة ولا أحد يستطيع مساعدتي.فلا تقلقي علي يا جايني».

وساد الصمت بينهما لحظات معدودة ثم استطردت بيني قائلة:

«يتحول الفخر فجأة إلى غرور كما تبين لي.كنت أحتاج الى درس كهذا يعلمني أن أنظر إلى نفسي بتواضع وحياء.فما هي سوى أسابيع قليلة ويتحول حقدي نحو ثيو إلى امتنان».

ولسماع اسم ثيو تقلص قلب جايني وقالت بلطف:

«هل تشعرين بتحسن الآن؟»

«نعم».

أجابت بيني ثم تابعت:

«أظهر ثيو كارينغتون على أن معرفته بالعلاقات العاطفية تفوق معرفتي إلى حد بعيد.فهو قاس ولئيم.لا أدري ما يجعله يتصرف على هذا النحو.استغل شعوري نحوه واستعدادي للتجاوب مع نزواته، فأظهر نحوي عاطفة وقتية، ما برحت أن تلاشت سريعاً.لكنه لم يعدني

بشيء.فمخططه الآن أن يتجاهل ما حصل بيننا ويتوقع مني أن أقوم بالمثل.وهكذا ينتهي الأمر بطريقة متمدنة ولبقة».

كان في صوتها مرارة وحقد.عرفت جايني أن شقيقتها قد بنت قصوراً على الرمال وها هي تحصد اليأس وخيبة الأمل.تشاركها جايني الشعور نفسه.لا بد أن ثيو كارينغتون ضحية الحياة التي عاشها وتصرفه نحو بيني كان لا بد منه.قالت جايني:

«آسفة».

أجابت بيني:

«وأنا كذلك،لكنني سأتغلب على بؤسي وأسفي.لحسن الحظ لم يسمح لي الوقت بالوقوع في حبه.أعجبني وتولعت به إلى حد بعيد.لم التق رجلاً مثله من قبل فله نفوذ قوي على الآخرين».

تجد جايني أنه من الصعب لثيو أن يحب حباً حقيقياً.فهو حريص على الاحتفاظ بحريته واستقلاله.ربما اذا استطاعت امرأة ما اختراق الجدار الذي نصبه حول قلبه يوماً ما،سوف يتحول ثيو إلى حبيب مخلص ومتطلب.فهو يكرس حياته وروحه لحبيبته ويتوقع منها الاخلاص والتفاني بالمقدار نفسه.

«عودي إلى فراشك الآن».

قالت بيني مقاطعة حبل أفكار جايني ثم تابعت:

«اعدك أنني لن أبكي بعد الآن.تصبحين على خير».

ابتسمت جايني وتوجهت نحو الباب لتغادر الغرفة حين قالت بيني:

«يحق للانسان أن يفقد صوابه مرة واحدة في الحياة. انتهت هذه المهزلة الآن.تلقيت درساً لن أنساه أبداً.تصرفي تجاه جيف لم يكن عادلاً وأسأت إليه أكثر مما توقعت.أشعر بارتياح الآن لأنني تمكنت من وضع حد لعلاقتنا فهو يحتاج لمقابلة فتاة تناسبه أكثر مني».

وفي طريقها إلى غرفتها،فكرت جايني أن ما تعاني منه بيني هو طعنة لكبريائها بينما قلبها لم يلحق به أي سوء.

وفي فراشها أخذت جايني تفكر في سوء حظها.ترك ثيو كارينغتون في نفسها أثراً لا يمحى.لكن مع ما تشعر به نحوه من غضب وألم وريبة وخيبة أمل،هنالك أيضاً شعور جديد لم تعهده من قبل.شعور بالمسامحة. فهي ستسامحه على ما أساء إليها وتتشوق لرؤيته بكل جوارحها.شعور لذيذ.لا شك أنها أسيرة حبه.

www.elromancia.com

الفصل السابع

وفي صباح اليوم التالي، وصل ثيو لاصطحاب جايني. ابتهج قلبها لرؤيته وكأنه شمس أشرقت بعد أيام ماطرة.ادراك جايني لحبها له أعطاها قوة لتواجهه من دون ارتباك.رحبت به والابتسامة تعلو وجهها ودخلت أمها الغرفة فجأة وقالت مخاطبة ثيو:

«صباح الخير يا ثيو.هل ترغب في تناول القهوة قبل رحيلك؟»

«لا شكراً يا جوي.علينا أن نغادر حالاً.هل أنت جاهزة يا جايني؟»

«نعم».

ودعت جايني أمها واستعدت للرحيل.

«لا تنسي الاتصال بي هاتفياً مساء الغد لتخبريني عن المقابلة.بلغي سلامي لعمتك كاترين».

قالت جوي ذلك وهي ترافق ابنتها إلى السيارة.وانطلقا معاً.

كان الظلام ما زال مخيماً.حاولت جايني الابتداء بالحديث فقالت:

«شكراً لعرضك اصطحابي إلى أوكلاند.وفرت على أبي عناء السفر.فهو يكره المدينة».

ابتسم ثيو بسخرية وأجاب:

«للحقيقة لم تكن الفكرة فكرتي. أمك هي التي نسقت الأمر فكان لا بد من موافقتي لتجنب أي احراج».

تجهم وجه جايني وأجابت بغضب:

«أستتصرف على هذا النحو طوال الطريق؟»

«ماذا تعنين بـ:على هذا النحو؟»

سألها بلطف مصطنع.

«أعني لؤمك المعتاد.فاذا كنت تشاء التصرف بلؤم وسخرية،فسألزم الصمت».

ضحك ثيو وأجاب:

«لا يا جايني...سأكون لطيفاً معك.لكنك لست مرغمة على الحديث إلا اذا اردت أن تقولي شيئاً يجدر بالقول.أجد صمتك منعشاً تماماً مثل حديثك».

«أرجو أن يكون كلامك من باب المجاملة».

أجابت جايني بذلك والشك يساورها.لكن ثيو جاد في كلامه فما لبث أن أظهر لطفاً ولباقة نحو جايني وتبادلا الأحاديث الخفيفة والنكات وشعرت جايني براحة وطمأنينة لوجودها برفقته.كانت الشمس قد أشرقت والحرارة بدأت ترتفع.وراحت السيارة تنهب المسافات، تاركة وراءها وديناًوجبالاً مكسوة بالاشجار الخضراء والنباتات المتعددة الألوان.وصلا إلى مدينة بريندروين المحاطة بتلال شامخة وجبال عالية القمم فانطلقت جايني قائلة:

«عندما كنت طفلة،كنت أعتقد أن هذه الجبال المرتفعة تشكل حدوداً بيننا وبين بقية العالم».

«تعنين بين عالم الخيال وعالم الحقيقة.وأي منهما كان عالم الخيال؟»

«نورث لاند طبعاً. وصلنا هنا في شهر شباط. تركنا انكلترا حيث البرد القارس وبلغنا اوكلاند حيث كانت الرطوبة مرتفعة جداً. رافقتنا بعد ذاك عمتي كاترين إلى آواكيبو حيث وجدنا الحرارة مرتفعة أكثر لكن الرطوبة أقل بكثير.سحرني جمال الأراضي الشمالية بوديانها الخصبة وتلالها وبراكينها وبحرها الأزرق.بدا كل شيء فيها ساطعاً وأشبه بجنة عدن.ومنذ ذلك الحين وقعت في حب نورث لاند».

«هل زرت مناطق آخرى في نيوزيلاند».

«طبعاً.أخذنا أبي إلى مناطق عديدة خلال عطلة الصيف. لكن الشمال يتحلى بجمال خاص به يجعله فريدا من نوعه».

«لكل منطقة في نيوزيلاند جمال خاص يميزها عن غيرها من المناطق.أوتاغو مثلاً رائعة بأنهارها الغزيرة وبساتين المشمش وألوانها الخريفية.جزر ستورت تتميز عن غيرها بمناظرها الخلابة. لكنني أؤيد رأيك.اذ تبقى نورث لاند متفوقة على غيرها...ما الذي يجعلك تختارين السكن في المدينة وأنت تعشقين الريف؟»

هزت جايني كتفيها وأجابت:

«علي أن أعتاد على العيش في المدينة اذا أردت تحقيق شيء في حياتي».

«وماذا تنوين أن تحققي؟»

«للحقيقة لا شيء...عدا عن...»

«عدا عن ماذا؟»

«حسناً.عدا عما تفعله أنت...»

ضحك ثيو وأجاب قائلاً:

«في ودي لو أقبل عرضك هذا لو كنت أصغر سناً»

ارتبكت جايني وتوردت وجنتاها ثم أجابت:

«لكنك أسأت فهمي.ما اقصده هو أنني أرغب في السفر بحراً والتعرف على العالم».

امتدت يد ثيو لتلامس وجنة جايني وأجاب:

«مسكينة جايني.لم أقصد احراجك.آسف.أخبريني اذاً ما الذي يدفعك الى الالتحاق بالمعهد التجاري بينما السفر في البحر هو أمنيتك المطلقة؟»

«لأنه الباب الوحيد المفتوح أمامي.فكما قالت بيني من الضروري أن أتلقى تدريباً عملياً في حقل التجارة وشؤون المكتب».

«لا شك أنها نظرة واقعية تتحلى بها شقيقتك.بينما لسوء الحظ تختلفين أنت عنها تماماً».

«صحيح».

«أنت فتاة رومنطقية مثالية يا جايني.نجحت حتى الآن في تفادي أمور الحياة التقليدية فلماذا توقفت؟ حسبت أن شجاعتك لا تقهر».

كان في ود جايني أن تبوح له بحقيقة شعورها تجاه قرارها وكيف أنها تمقت فكرة العمل في المكتب. لكنها تذكرت تصرفه نحو بيني ولاحظت تعابير وجهه المتنقلة

بين السخرية والجمود وقلة الاهتمام فتمنعت عن مصارحته وأجابت:

«يختلف الأمر بالنسبة إليك فأنت رجل مما يجعلك تتنعم بحرية تقرير مستقبلك أكثر مني».

«لكن نساء كثيرات قبلك برهن أن العكس صحيح».

«أعلم ذلك.لكن علي أن أواجه الحقيقة الآن أفضل من الغد.من الضروري أن أجد عملاً اذا شئت أن أحقق في المستقبل ما أرغبه فعلاً».

«وما ذلك؟»

«أشياء عديدة أفضل بقائها سراً».

«حسناً اذاً.لن أصر على معرفة أسرارك.لكن يبدو لي أنك مصممة على إضاعة حياتك.ستقومين بعمل تكرهينه حتى يأتي اليوم الذي ستلتقين فيه برجل أحلامك وتتزوجين».

انتفضت جايني بغضب وأجابت:

«وماذا تقترح أن أفعل؟»

«آسف لكنني لا أقرر مصير أحد.أعلم أن الحياة مليئة بالصعوبات.وأقدر أن أعطيك نصيحة واحدة فقط وهي:ان كنت تسعين وراء هدف معين بعزم وشجاعة وارادة قوية،تبلغين هدفك بلا شك. لكن عليك أولاً أن تقدري قيمة هدفك وأهميته.ترى هل يستحق مكافحتك ومثابرتك؟ أحياناً،يصل البعض إلى آخر الطريق التي جاهدوا بعزم لاجتيازها ليجدوا بعدما فات الأوان أنهم اخطأوا في اختيارهم.»

«أهكذا بلغت غايتك يا ثيو؟ بمثابرتك القاسية العنيدة لبلوغ هدفك؟»

«نعم. يظهر أنك لا توافقين.هل تنفرين من الطموح؟»

«لا أبداً».

أجابت جايني محاولة السيطرة على عواطفها.كيف لها أن تخبره أن قساوة النفس هي التي تخيفها وليس الطموح.واستقرت عيناها على يدي ثيو فوق مقود السيارة.يدان تستحقان الثقة.بوسعهما الايذاء والحب في الوقت نفسه.أظهر ثيو قساوة لا ترحم تجاه بيني.انفصل عنها كلياً فور ادراكه أنها بدأت تنظر إلى علاقتهما بجدية وأمل.وربما احتاج الأمر الى معالجة شبيهة.لكن ثيو أظهر عزماًوارادة صلبة أنزلت الرعب في قلب جايني.

«لا».

أجابت من جديد ثم استطردت قائلة:

«لتنجح نظريتك هذه،على الفرد أن يكون واثقاً من نفسه ومدركاً امكانياته».

«وأنت تفتقدين الثقة بنفسك والادراك لامكانياتك أهذا ما تحاولين أخباري؟»

«نعم».

أوما ثيو برأسه وأجاب:

«عاملك والداك وكأنك تفتقدين الموهبة.ونشأت في ظل شقيقتك مما أساء إلى نمو ثقتك الشخصية.حتى قرارك هذا ما زال تحريضاً من بيني.في النهاية من شأنك أن

تقرري استعدادك لشق طريقك بنفسك، حتى لو تطلب الأمر وجودك بمفردك من دون مساعدة من أحد.فالنتيجة في النهاية لمصلحتك الشخصية...حسناً.هل تشعرين بالجوع؟»

هكذا انتهى الحديث بينهما.شعرت جايني أنها خيبت أمله بها نوعاً ما لكنها عجزت عن معرفة السبب،ولم تحاول طرح السؤال.فتصرف ثيو نحوها بات كتصرف رجل ناضج يعاون فتاة في مطلع العمر.آلمها انفصاله عنها ولمحت في عينيه شرارة غضب لم تعرف سببها.

كانت العمة كاترين تعمل في الحديقة عندما وصل ثيو وجايني. تقدمت منهما وتبادلا التحية.وقع نظرها أولاً على الشاب الوسيم الأسمر الجذاب ثم انتقل إلى جايني والابتسامة والغبطة ظاهرتان في عينيها.

«جايني عزيزتي».

عانقتها طابعة قبلة على وجنتها.

«السيد كارينغتون،أرجو أن تتفضل بالدخول ومشاركتنا تناول الغداء».

كاترين سينغر أرملة تعيش بمفردها. لها ابنان يعملان في السلاح الجوي النيوزيلاندي. تملك قلباً مفعماً بالمحبة نحو الآخرين وتعيش حياة اجتماعية نشيطة وتتحلى بمقدرة على التنظيم مما جعلها تترأس منظمة عالمية لمساعدة اللاجئين في كل أنحاء العالم.يتطلب عملها استعداداً للسفر

المستمر.لكن كاترين تملك حيوية ونشاطاً.ودليل على ذلك انشغالها في الحديقة في يوم حار لم تشهد أوكلاند مثله من قبل.

«الحرارة في الداخل أسوأ من الخارج».

قالت كاترين وهي ترافق ثيو وجايني ثم تابعت قائلة:

«أعد نفسي كل صيف بتجهيز هذا المنزل بمكيف للهواء لكن الحرارة هذه لا تدوم إلا أياماً قليلة،مما يجعلني أغير رأيي».

رافقت كاترين جايني إلى غرفتها وأمرتها بأن تغتسل وتغير ثيابها.عادت جايني بعد دقائق منتعشة ومرتدية ثوباً صيفياً ناعماً.سمعت عمتها تتحدث إلى ثيو.يظهر أنهما منسجمان تماماً.انضمت إليهما جايني لتناول الشراب،كانت تراقب عمتها متمنية لو تملك اتزانها ورقتها.ميزتان يملكهما ثيو على السواء. فهو وكاترين من عالم واحد.يتمتع كلاهما بنظرة حاذقة لا تخدعها المظاهر الخارجية.الفرق بينهما أن في نظرة كاترين محبة ولطفاً بينما تخيم السخرية والاستخفاف بالآخرين على نظرة ثيو.

«ما بالك يا جايني لا تشاركيننا الحديث؟هل تعانين من صداع؟»

أحتقن وجه جايني وأجابت:

«لا.لم أعد أعاني من صداع مثل قبل.أعتقد أنها لم تكن إلا مسألة وقت».

«يسعدني معرفة ذلك.يبدو أيضاً أنك توقفت عن النمو.كنت

أخشى أن تبلغي ستة أقدام.لحسن الحظ باتت قامتك متناسقة وتبدين بحالة جيدة.يبدو أنك تحولت من فتاة إلى امرأة ناضجة».

ابتسمت جايني وهي ترمق ثيو بنظرة ساخطة.لاحظت السخرية على وجهه وابتسامته الماكرة.تعلم جيداً ما يجول في ذهنه.فهو يفكر بلقائهما معاًعلى الشاطىء.حيث ساهم ثيو في نضوجها من فتاة إلى امرأة.لكنها لن تدعه يزرع الشك والتساؤلات في ذهن عمتها.فأجابت:

«لا شك أنني أجيد استعمال أطرافي الآن فباستطاعتي التنقل من دون الاصطدام بما يحيطني.أتذكرين الكارثة التي سببتها مرة حين تعثرت فوقعت فوق طاولة من المأكولات أمضيت وقتاً طويلاً في اعدادها وتنسيقها؟»

ضحكت العمة كاترين وأجابت:

«لم ولن أنسى تلك الحادثة أبداً».

والتفتت نحو ثيو قائلة:

«أعتبر بيني أشبه بقطة تتموج بمشيتها.أما جايني فهي كالمهر.طويلة اليدين والقدمين وتفتقد الاتزان. يسعدني رؤيتها الآن وقد زودها الوقت بأنوثة ونعومة.حسناً!لا بد أن نتناول الطعام الآن قبل أن تفسده الحرارة».

وبعد الغداء، غادر ثيو وراحت جايني تذرع الغرفة بخطواتها عاجزة عن الهدوء.فاقترحت عمتها اصطحابها إلى المدينة للتبضع. فذهبا معاً إلى مركز

تجاري مشهور بمخازنه الرائعة المملوءة بأجود البضاعة المستوردة والمحلية.سمعت جايني لهجات عديدة، منها أميركية واسترالية ومنها صينية ويابانية.

يقصد هذا المركز سياح من كل أنحاء العالم.

حان اوان المقابلة وقصدت جايني المكان المعين.كانت المقابلة أفضل مما كانت تتوقع جايني.لم تشعر بأي ارتباك بل كانت هادئة وصريحة .قام بالمقابلة ثلاث مسؤولين. امرأتان ورجل. وكانت الاسئلة تطابق تلك التي طرحها عليها ثيو.وأجابت جايني بالاجوبة نفسها.

«على الأقل،لا تخشين الاعتراف بالحقيقة، ربما العمل في المكتب ليس أمنيتك المطلقة لكن كوني على ثقة بأن التأهيل العملي الذي ستتلقينه في المعهد سيكون قيماً ومفيداً.فقدرتك على الضرب على الآلة الكاتبة وحدها تفتح أمامك أبواباً لمجالات متعددة.هذا طبعاً اذا قررت اللجنة قبول طلبك».

هذا ما قالته المسؤولة اختتاماً للمقابلة.

وذهبت جايني واثقة بأن المقابلة تمت بخير.

قضت فترة العصر برفقة عمتها.زارا معاً المتحف الوطني ووعدتها عمتها باصطحابها إلى مطعمها المفضل لتناول العشاء ثم انهاء السهرة في المسرح حيث تعرض مسرحية مشهورة.كان المطعم أنيقاًورائعاً،ارستقراطي الذوق والجو يقصده الأثرياء وذوو الشأن.وارتدت جايني ثوباً أخضر اللون بدت فيه أطول وأنحل مما هي عادة. كانت الوحيدة في

المطعم مرتدية ثوباً من الطراز القديم، فشعرت بالاحراج والارتباك.

«تبدين جميلة يا جايني».

قالت عمتها وقد لاحظت الاضطراب على وجه جايني ثم تابعت:

«اهدئي واطمئني وحاولي الاستمتاع بوقتك.تجاهلي الناس حولك.هل تفضلين اختيار الطعام بنفسك؟»

«لا.سأدع الخيار لك».

وبينما انهمكت عمتها باختيار أصناف الطعام،أخذت جايني تتأمل النساء حولها بحسد متمنية لو أنها تملك الصفات نفسها التي تتحلى بها هؤلاء النساء.حتى العمة كاترين بوسعها أن تتعامل مع ثيو بطريقة لبقة وفعالة ،بيني أيضاً ولو أن ثيو أساء إليها.بينما جايني ما زالت تعتبره لغزاً هي عاجزة عن حله.

قطع حبل أفكارها دخول ثيو القاعة برفقة حسناء رائعة الجمال.طويلة ،رشيقة وأنيقة. تتألق بثوب أسود طويل يظهر قامتها المتناسقة بجمال تفاصيلها.

حولت جايني نظرها إلى عمتها،ففوجئت بها تبتسم لها. كأنها تعلم ما يدور بخاطر جايني وما يحرق قلبها.أحنت جايني رأسها وتوردت وجنتاها من الخجل.لا شك أن عمتها كما وصفها والد جايني حذقة ولا يفوتها شيء.لازمت كاترين الصمت متفادية مناقشة الموضوع تاركة المبادرة لجايني.ورآهما ثيو

وألقى التحية عن بعد.تغلبت جايني على ارتباكها وحاولت تجاهل وجوده في القاعة نفسها.فتحدثت مع عمتها وتمتعت بتناول الطعام الشهي وبعدها قضت وقتاً سعيداً في المسرح حتى أنها تمكنت من النوم من دون صعوبة.

استيقظت في الصباح واستعدت للعودة إلى أواكيبو. وصل ثيو لاصطحابها وغادرا المدينة معاً بعد توديع العمة كاترين. خيم الصمت بينهما حتى غادرا المدينة وبلغا بداية مسافات من السهول والوديان والبساتين الخضراء.فابتدأ ثيو بالحديث قائلاً:

«كيف كانت أمسيتك البارحة.»

«ممتعة جداً.وأنت،هل قضيت وقتاً مرحاً؟»

«بكل تأكيد.هل أعجبتك ثورا؟»

«ثورا؟آه...تعني الفتاة...أو المرأة التي كانت برفقتك؟»

«نعم.المرأة أصح. ثورا برايدلي تعمل في التصميم الفني للمنازل.»

أجابت جايني محاولة اخفاء الحسد في صوتها:

«لا شك أنها خارقة الجمال».

ضحك ثيو وأجاب:

«قالت انك لطيفة ومفعمة بالصحة.ولا أعتقد أنها تقصد مجرد الاطراء».

اغتاظت جايني لمعرفتها بأن ثيو تحدث عنها وعجزت عن التفكير بوضوح فلا شك أن

ثيو وثورا يعرفان بعضهما معرفة حميمة.يدل على ذلك انسجامهما في الحديث ليلة أمس.كانت ثورا تنظر إلى ثيو نظرة فاتنة مغرية.رحب بها مظهراً رغبة مماثلة. ولاحظ ثيو شرارة الغضب في عيني جايني فاستطرد قائلاً:

«ما بالك؟ لم يسبق أن أظهرت نفوراً تجاه صديقة من صديقاتي من قبل؟»

يبدو من لهجة ثيو أنه مدرك لعواطفك جايني ويعتبر الأمر مجرد تسلية لاأكثر.ارتعشت جايني وغمرها شعور بالخجل لكنها صممت على مقاومته فقالت بعزم:

«ربما لأننا نختلف كلياً.وما رأي ثورا بعمتي كاترين؟»

«أعجبت بها الى حد كبير.يبدو أن عمتك مشهورة في أوكلاند. أمي تعمل معها في لجنات مختلفة».

«صحيح؟عمتي تقوم بتنظيم أعمال خيرية عديدة».

«وأمي كذلك.أنا واثق أنها ستعجبك».

«ربما».

نظر إليها ثيو بدهشة.وأجاب:

«يا لك من لئيمة. ما الذي يجعلك تشكين في ما قلت؟»

«حسناً.قلت لي مرة انها لا تحب البطاقات البريدية وأنا أحبها أترى اختلاف ذوقنا؟»

«أتذكرين كل شيء قلته لك؟»

نعم أجاب قلبها لكنها قالت:

«لا أذكر كل شيء لكنني لسبب ما لم أنس ما قلته عن أمك. هل أوشكت على إنهاء روايتك الجديدة؟»

«يوماً ما سأرفض اجابتك حين تغيرين الموضوع لكنني قررت اليوم أن أكون لطيفاً نحوك فسأجيبك على سؤالك.حسناً.لم أنه الرواية بعد ويبدو أنني سأتأخر في انهائها».

«ولماذا؟هل غادرك الوحي؟»

«لا لم يغادرني الوحي لكن هنالك حاجزاً منعني من الاستمرار في الكتابة».

أجاب بصوت متجهم.تعلم جايني أنه لن يخبرها عن الحاجز هذا.ففضلت التزام الصمت وبعد وقت قصير سألها ثيو:

«كيف تمت المقابلة مع المسؤولين في المعهد؟»

«لابأس.أعتقد أنهم وافقوا على التحاقي بالمعهد».

«رغم ما أظهرته من قلة اهتمام».

«نعم.أعجبتهم صراحتي».

ضحك ثيو وأجاب:

«صحيح.ان الصدق من حسناتك المحببة.فحتى لو تفوهت بالكذب.تبوح عيناك بالحقيقة.وتتورد وجنتاك بسهولة...اذاً ستتبعين نصيحة بيني».

«نعم بكل تأكيد».

أجابت والألم يمزق فؤادها.كانت تود لو تخبره أنها برغم الحب الذي تحمله نحوه لن تدع شعورها المجنون يقف في طريق مستقبلها وحياتها.

www.elromancia.com

«حسناً اذاً».

ثم أدار الاذاعة ليستمع إلى تقرير عن لعبة كرة المضرب. ربما أراد وضع حد للحديث بينهما.أو أراد ابعاد جايني عنه أبعد ما يمكن.وشاءت جايني أن يعلم ثيو أنها ستقاوم حبها نحوه.فهي تختلف عن ثورا برايدلي التي لم يمنعها شيء من اغرائه واظهار حبها له ليلة أمس.حاولت جايني الاستماع إلى صوت المذيع وطردت ثيو من أفكارها.

• • •

وبعد مضي أسبوع تلقت جايني رسالة من المعهد تبشرها بقبول طلبها.ولأن السنة الدراسية تبتدىء بعد عشرة أيام انهمكت جايني بالاستعداد للانتقال إلى أوكلاند.

جاء سام لزيارتها وقد أسعده قرارها خاصة أنه سيتمكن من رؤيتها باستمرار.جلسا معاً على الشرفة يتحدثان.فقال سام:

«ستتشوقين لآواكيبو يا جايني.فهو حال كل من يغادر هذا المكان.لا تيأسي سيبقى منزلك هنا وبوسعك الرجوع متى شئت.ثم ان وجودي ووجود بيني في أوكلاند سيخفف من وحشتك».

«صحيح . لكنني لا أرغب في مغادرة هذه الارجاء».

«لا أحد يرغب في ذلك. فلآواكيبو سحر نادر.انها عبارة عن بضعة مخازن وبساتين وحدائق وأنهار ومزارع وشواطىء.عناصر تجدينها في مناطق

أخرى لكنها في آواكيبو تستولي على عقلك وتبهرك بجمالها».

«ما الذي يذكرك في اواكيبو وأنت بعيد عنها؟»

«شجرة اوكالبتوس تعانق الهواء.وأنت؟»

«ليل جامد ونباح وراء التلة».

ضحك سام وضغط على يد جايني قائلاً:

«لن يكون بوسعك اذاً تذكر اواكيبو حيث سيصعب عليك سماع نباح كلب في المدينة.لكنك ستتنشقين رائحة البحر بين حين وآخر».

«برغم رائحة الوقود؟»

ضحك سام ولزم الصمت بعد ذلك.شردت أفكار جايني في مستقبلها الكئيب.ها هي ستبتعد عن كل ما يعشقه قلبها.ثيو وآواكيبو،والداها وحرية وبراءة طفولتها.لم يعد لها أي أمل بالتمسك بأي منها بعد الآن.وسام الذي لم يعد الانسان الذي عهدته منذ سنة سيتوقع منها أكثر من الصداقة التي تشعر بها نحوه. اغرورقت عيناها بالدموع.شعرت بثقل السنين التي ستقضيها من دون ثيو.سمع سام بكاء جايني فقال لها بلطف وهو يشدها نحوه:

«لم تغادري آواكيبو بعد.فلا تفسدي آخر أوقاتك فيها بالحزن والتجهم.تعالي إلى الداخل قبل أن تفكر أمك في أنني سبب بكائك».

الفصل الثامن

«جايني، ما دمنا احتفلنا بانتقال بيني الى اوكلاند، علينا ان نعاملك بالمثل. اريد منك ان تعدي لائحة باسماء المدعوين. ليكون عددهم الاقصى حوالى عشرين شخصا.»

قالت جوي ذلك مخاطبة ابنتها. لكن لا تود جايني الاحتفال بمغادرتها آواكيبو. فهو حدث لا تتمناه مطلقاً. مع انها مرغمة على احترام رغبة امها. فتظاهرت بالبهجة وقالت:

« حسنا اذاً. لا داعي يا امي لتنظيم حفلة كبيرة...»

« لا تقلقي. دعي الامر لي. هيا الآن الى غرفتك وابتدئي بتحضير لائحة المدعوين.»

دخلت جايني غرفتها وما زالت فكرة مغادرة آواكيبو تعذبها. لم يبق سوى اسبوع وتبتدىء صفحة جديدة في حياتها. صفحة بيضاء ناصعة، خالية من صورة ثيو وحبها له، خالية من طيف توروووا وجمال آواكيبو. اقتربت جايني من نافذتها لتتأمل السفينة التي استولت على قلبها وغيرت مجرى حياتها كلياً، منذ وصولها المرفأ. لم يزل ثيو منهمكاً بانهاء روايته. لم يقع نظرها عليه سوى مرة واحدة حين تناول العشاء برفقتهم. كان يبدو متعباً من قلة النوم. بدت نظراته اليها مجردة من اي شعور وكأنها لم تعد سوى جزء

منسي من ماضيه ولا علاقة لها بحاضره او مستقبله. تفادت جايني التحدث اليه وانزوت تراقب عن بعد التحفظ الذي طرأ على تصرف بيني تجاه ثيو. وكأنهما لا يشاركا ابداً لحظات عاطفية واوقات حميمة معا. بدا على وجه ثيو التقدير والاحترام تجاه بيني. يا لها من محظوظة! ربما على جايني ان تشكر حظها لان علاقتها بثيو لم تدم وقتاً طويلاً. قريباً سينتهي كل شيء. تتساءل جايني اذا كان شعورها نحوه لن يموت ابداً. هل يعني ذلك انها ستقبل الاقتران بآخر لن تقوى على حبه حباً كاملاً حقيقياً ما دام قلبها اسير حب آخر. فكرة لا تقوى على تحملها اذ تملأ قلبها رعباً.

تجاهل ثيو حب جايني له ومنعها من ا ية مشاركة في حياته. وبدأ يبتعد عنها منذ ان جمعتهما تلك اللحظات العاطفية على الشاطىء. ادرك ثيو حينئذ خطر الموقف وتصرف بسرعة وحكمة.

كيف تلومه جايني وهو الكاتب الفذ والانسان الذي يتخطاها بخبرته في الحياة وادراكه للعلاقات العاطفية؟ فاذا فشلت بيني في اجتذابه لا امل لجايني بذلك اطلاقاً.

تناولت جايني قلماً وشرعت تدون اسماء الاشخاص الذين تود دعوتهم الى حفلتها.

في صباح اليوم التالي ارتفعت الحرارة الى درجة قصوى. وما زال بول يراقب تطورات الطقس فقال:« اتوقع وصول عاصفة استوائية قريباً.»

فأجابت امه:« اهلاً بها اذا كانت تحمل امطاراً في طياتها.

لم يمر علينا صيف بمثل هذه القساوة وهذا الجفاف من قبل.»

اجاب ايين متوقفاً عن تصفح جريدته:

«صحيح.فلم يتكرر هذا الصيف منذ ثلاثين عاماً».

شعرت جايني برغبة قوية للتنزه في الخارج.قفزت شاي بين ذراعيها وكأنها أدركت ما يجول في ذهن جايني.

قالت جوي:

«أعتقد أنها ترغب في أكل السمك».

فأجابت جايني:

«سأصطحبها إلى المرفأ اذاً وأحاول التقاط بعض السمك».

قال بول مغادراً مقعده:

«سأرافقك».

وتوجها معاً إلى المرفأ.كان المكان يعج بالسياح وأهالي المنطقة.وغص المرفأ بالزوارق والسفن المتعددة الأحجام والأنواع. لكن توروا ما زالت تتفوق على سواها بالجمال والأهمية. بقيت جايني قرب بول الذي ابتدأ بالصيد.جلست جايني حيث يصعب عليها رؤية توروا.فعندما سمعت فجأة صوت ثيو خلفها، ارتعش قلبها وجمد الدم في عروقها.

التفت بول وقال:

«أهلاً ثيو.فاتك مشاهدة سمكة عملاقة التقطتها جايني لكنها لشدة غبطتها،دعتها تفلت من صنارتها».

ضحك ثيو وهو يرمق جايني بنظرة متفحصة ثم ابتسم آخذاً يدها بيده وقال:

«تعالي لنقضي النهار معاً».

طلب مجنون ومتهور لكنها وافقت عليه.

«سأعلم أمي عن وجودك برفقة ثيو واتولى أمر ايصال عدة الصيد إلى البيت.لا أستطيع مرافقتكما لأنني مرتبط بنشاطات أخرى عصر هذا اليوم».

قال بول ذلك وهو يستعد للرجوع إلى البيت.انطلقت جايني برفقة ثيو متمنية لو كانت ترتدي ثياباً مناسبة ومتناسقة كثياب الفتاة التي تحدق بثيو عن بعد بنظرة اعجاب.لكن ثيو لم يلاحظ حتى وجودها بل اصطحب جايني إلى سفينته ودعاها إلى الداخل قائلاً:

«تعالي.ربما تستطيعين اعداد طعام الغداء».

كانت هذه أول مرة تدخل فيها جايني حجرة السفينة.

غمرتها الدهشة فبرغم صغر حجمها الا أنها حقاً رائعة ومنمقة.

«لا شك انها قاعة فخمة.هذا يفسر عدم حاجتك للسكن في بيت عادي».

لم يجب ثيو.بدا وكأنه على وشك ان يقول شيئاً لكنه امتنع عن البوح وقال:

«تجدين الثلاجة هناك.تناولي منها بعض الخضار والفاكهة والزبدة والجبن وضعيها في سلة.» ثم اضاف إليها ثيو بعض المرطبات ونظر إلى جايني قائلاً:

«تجدين مزيداً من الطعام كاللحم والبرتقال في الخزانة هناك».

«هل أضع القهوة في هذا الترمس؟»

«نعم»

وحين انتهت جايني من أعداد الطعام قال ثيو:

«كونك امرأة يجعلك تتشوقين لرؤية ما تبقى من داخل السفينة أليس كذلك؟»

«أتعني أن الفضول ميزة تخص النساء فقط؟»

ضحك ثيو واجاب:

«حسناً.اعترف ان بعض الرجال يتشاركون بالصفة نفسها.تعالي اذاً».

كانت القاعة الاساسية مفروشة بالسجاد.وتغطي نوافذها الستائر.وفي زاوية من زواياها مكتب وآلة كاتبة وقربها صندوق.نظرت جايني إلى الصندوق فوجدته محاطاً بشريط ومختوماً.

قال ثيو مجيباً على التساؤلات في عينيها:

«نعم.هذه الرواية في الداخل.انتهيت أخيراً من كتابتها».

«لا بد أنك تشعر بارتياح الآن».

«صحيح.لكنني أشعر أيضاً بفراغ عميق وكأنني فرغت من آخر نقطة ابداع وابتكار...تعالي لرؤية ما تبقى».

تحتوي السفينة على كل ما يحتاجه المرء لقضاء حياة طبيعية مريحة.سألته جايني:

«وأين تنام؟»

«في القاعة الاساسية. تتحول الأريكة إلى سرير.هل رأيت ما يكفي الآن؟»

«نعم».

وصعدت جايني السلم عائدة إلى ركن السفينة.فوجودها مع ثيو بمفردها جعلتها ترتبك وأدركت فجأة جنونها لأنها قبلت بتمضية النهار معه.أغمضت عينيها مقاومة الخوف الذي تملكها، محاولة استعادة سيطرتها على

نفسها.ولحسن الحظ، انهمك ثيو في الداخل فوجدت جايني وقتاً كافياً لتهدئة أعصابها المتوترة. قريباً ستكون في اوكلاند ولن يعود ثيو سوى ذكرى من ماضيها. قررت جايني أن تجعل آخر لحظاتها برفقته لحظات سعيدة تحتفظ بها في مخيلتها لتخلد بها هذا الصيف الذي أوشك أن ينصرم.

أدار ثيو زورقه وانطلقا عبر الجدول بصمت.انتاب جايني خوف مريع عندما أدركت أن ثيو يصطحبها إلى الشاطىء حيث قضيا معاً وقتاً لا ينسى. فهنا أخبرته جايني عن المنزل الخيالي الذي تتمنى بناءه وسط الاشجار وبعيداً عن الانظار.وأخبرها ثيو عن تجواله حول العالم وماضيه المليء بالأحداث المثيرة.وهنا أيضاً أدركت جايني قوة تأثير ثيو على قلبها. كان وقتاً يرغب ثيو في تكراره وتشاركه جايني هذه الرغبة.فقالت:

«مكان رائع.لو كنت أملكه لقصدته كل يوم».

«السبب الذي يجعل عائلة ثيو تتجاهل هذا المكان هو أنه يبعد عن منزلهم ولا يحتاجون للتمتع بالمناظر الخلابة فمنزلهم يقع في نقطة رائعة محاطة بالاشجار والتلال».

استلقت جايني فوق البساط الذي وضعه ثيو فوق العشب وما هي إلا لحظات برفقة ثيو حتى نسيت جايني كل شيء إلا فرحتها وبهجتها لوجوده معها.تبادلا الأحاديث الطريفة والنكات والمناقشات ثم انطلقا معاً يتفقدان ما حولهما من صخور وجداول وبساتين.وفي طريقهما إلى الزورق سألها ثيو:

«هل انتهيت من تصميم منزلك؟»

«منزلي؟»

سألت جايني بدهشة ثم أدركت ما يقصد ثيو فأجابت:

«تعني منزلي الخيالي. لا. لم انته بعد. لكنني قررت أن تكون غرفة الجلوس في البقعة هذه. هكذا تلتقط منظر البحر الرائع من دون الحاجة الى قطع أي غصن من الاشجار المجاورة».

واستغرقا في النقاش حول تصميم المنزل خاصة عندما اصر ثيو على ضرورة احتواء المنزل غرفة للمطالعة والدراسة.

فقالت جايني معترضة فكرته:

«لكن أبي لم يحتج لغرفة مطالعة. فهو يستعمل غرفة الجلوس ويجدها كافية مرضية».

«ربما. لكنني أصر على وجودها. أعتقد أنك تكرهين فكرة انفراد الرجل بنفسه ولو للحظات قليلة. حسناً. هل تشعرين بالجوع؟»

أومأت جايني برأسها وأعد ثيو الطعام وتناولاه معاً.

بعد ذلك استلقيا على البساط وغلبهما النوم، وعندما استيقظت جايني كان قد مضى على نومها ساعات معدودة. امتلأت السماء بالغيوم لكن الحرارة ما زالت مرتفعة ويبدو ان العاصفة على وشك ان تبدأ.

استلقت جايني على العشب مقاومة رغبتها في الوقوف. كانت تخشى ان ينتهي الحلم، ان تواجه الحقيقة المرة المؤلمة. لكنها اضطرت للجلوس بعد ان انهكتها شدة الحرارة. كان ثيو مستلقياً قربها يراقبها وعندما نهضت ابتسم قائلاً:

«تبدين رائعة الجمال وأنت نائمة».

«هراء...» أجابت ثم تابعت: هل تعتقد ان السماء ستمطر قريباً».

«ربما. لكن الوقت لم يحن بعد. فما رأيك بالسباحة معاً؟»

ترددت جايني قليلاً ولم تجب. لاحظ ثيو ارتباكها فاقترب منها قائلاً:

«جايني، هل تثقين بي؟»

نظرت جايني في عينيه وأجابت:

«نعم».

«اذاً تعلمين أنني لن أسيء إليك».

«نعم».

«حسناً».

وابتعد عنها متوجهاً نحو الماء ثم تبعته جايني.

كان الماء بارداً قليلاً. انتعشت جايني وشعرت بالاطمئنان لرؤية ثيو يسبح بعيداً عنها. لكن شعورها ما لبث ان تحول إلى كآبة وحزن لابتعاده. وخاب أملها فقررت العودة إلى الشاطىء ثم هتفت قائلة:

«اني عائدة إلى الشاطىء».

«انتظري لحظة».

صاح ثيو وهو يسبح نحوها. وعندما اقترب منها، اخذها بين ذراعيه وعانقها بشدة ثم أخذ وجهها بين يديه قائلاً:

«سأغادر آواكيبو غداً يا جايني. وداعاً».

تلاشت القوة من جسمها واوشكت ان تفقد توازنها في الماء. جذبها ثيو نحوه من جديد وقال:

«جايني. تقتلني نظرة اليأس في عينيك. لو أنك تفجرين

غضبك نحوي بأية طريقة اخرى لتمكنت من ان احتملها.لكن صمتك واللوم القاسي في نظراتك يجردني من قوتي كلياً».

أجابت جايني وهي تبتعد عنه:

«آسفة».

ثم اكملت وهي تحاول التخلص من قبضته:

«دعني أرحل».

لكن ثيو رفض التخلي عنها واجاب:

«تمنعني السنوات التي بيننا من متابعة علاقتنا.ما زلت في ربيع عمرك جايني ورجل مثلي لا يستحق حبك الطاهر.تجهلين حقيقتي وماضي.احببت نساء كثيرات قبلك.لم أعد أنكر عددهن.وغادرتهن بلا شفقة غير مبال بدموعهن وتوسلاتهن.فاذا استجبت لعاطفتي تجاهك وتزوجتك اخشى ان اسيء إليك في المستقبل بعد ان اشبع شوقي لامتلاكك».

احنت جايني رأسها عاجزة عن الكلام فأبعدها ثيو عنه واضاف:

«هيا ارحلي قبل ان افقد ما تبقى لي من شهامة».

عادت جايني إلى الشاطىء بعد ان ارتدت ملابسها وكان ثيو يستعد للرحيل أيضاً فخاطبها قائلاً:

«علينا ان نعود الآن.ستمطر السماء قريباً.وداعاً يا جايني».

اجابت جايني مبتسمة:

«وداعاً يا ثيو.رحلة سعيدة».

غادر ثيو بزورقه بينما عادت جايني إلى المنزل مشياً على الاقدام.

دخلت البيت ووقفت قرب المطبخ تتنصت إلى حديث بين بيني ووالدتها.

«لا سبب لك للقلق يا أمي.ثيو رجل ناضج.لا شيء يجذبه إلى جايني».

ثم ضحكت بيني واستمرت قائلة:

«ثيو معجب بجايني لا أكثر.فهي تثير اعجاب الآخرين.خذي سام مثلاً فهو هائم بحبها.فلماذا لا تقلقين حين تكون جايني برفقته؟».

لم يكن بوسع جايني سماع ما تقوله أمها.مرت ثوان عديدة ثم أجابت بيني:

«أمي.جايني ما زالت طفلة بينما ثيو رجل اجتماعي ذو شأن كبير.يحب النساء الجميلات الأنيقات مثل فيل تالبوت وأنا مثلاً.ثيو ساخر ولا يتوقع من علاقته مع النساء سوى ارضاء غرائزه.لا يؤمن بالحب والاخلاص والثقة بالآخرين،لكنه في الوقت نفسه لا يخدع أحداً.لا أرى أي شيء في جايني يشده إليها. فهي ساذجة ولا خبرة لها في الامور العاطفية. ثيو يفضل المرأة المطلعة على وقائع الحياة.واذا اظهر أي اعجاب تجاه جايني فهذا ناتج عن صدها له وعدم اكتراثها لجاذبيته.فهذا أمر لم يألفه من قبل».

ابتعدت جايني متوجهة نحو غرفتها.لا شك أن شقيقتها على خطأ.شعور قوي جذب ثيو إليها.شعور أقوى من مجرد اعجاب لكنه احتقر نفسه لأجل هذا الشعور.

* * *

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي كانت توروا قد تلاشت عن الانظار.كانت الامطار تهطل بغزارة مما اضاف لشعور جايني الكآبة والحزن.

مرت عليها ايام بؤس لا تحتمل.حاولت بجهد ان تقاوم حزنها.ونجحت في محاولتها وحملت على وجهها ابتسامة مزيفة.دار الحديث حول ثيو مراراً.مغادرته المرفأ بهذه السرعة اذهلت الجميع.

وبعد ايام معدودة وصلت منه رسالة تشرح سبب رحيله المفاجيء.هطلت الامطار بغزارة لأيام عديدة وانهمكت جايني بالاستعداد لحفلتها.وفاجأت اهلها يوماً بطلبها ان يناديها الجميع باسمها«جاين»لأنها لم تعد طفلة بعد الآن.فوافقت أمها قائلة:

«بكل تأكيد.يجب ان يضع المرء،احياناً،حداً لأي عائق يقف في طريق نموه ونضوجه،مهما كانت اهميته».

وقال ابوها معلقاًعلى الموضوع:

«يبدو ان اولادي اصبحوا بالغين الآن ولكل مستقبله وطريقه المستقلة.يبقى زوجتي وانا وهذا المنزل المهجور».

استمرت جايني بالتغلب على الألم الذي يمزق فؤادها برباطة جأش لم تألفها من قبل،حان وقت حفلة وداعها.وامتلأ منزلها بالاصدقاء. امضى الجميع وقتاً ممتعاً.ولم يفارق سام جايني لحظة مما ارغمها في نهاية الحفلة ان تتخلص منه بلباقة ولطف.

وأوت جايني إلى فراشها وفي رأسها يدور حديث جرى بينها وبين كارين خلال الحفلة:

«حفلة رائعة».

قالت كارين ثم تابعت:

«سأشتاق لك كثيراً يا جايني.هل سمعت ما جرى لفيل تالبوت؟»

اجابت جايني بحذر:

«لا لم اسمع شيئاً».

«حسناً،تعلمين تباهي السيدة تالبوت بمقام اسرتها الاجتماعي وعظمة شأنها.فما حصل مؤخراً علمها درساً قاسياً. كانت السيدة كورك تشرب القهوة في منزل السيدة تالبوت عندما دخلت فيل المنزل لاهثة وشاحبة اللون.ورداً على سؤال أمها عن صحتها اجابت فيل «انني حامل».

اذهل الخبر جايني وعجزت عن التعليق بينما استمرت كارين تقول:

«لا شك أن فيل فقدت صوابها.فقد فاجأت أمها بالخبر أمام السيدة كورك الثرثارة المشهورة، فتعالى الصراخ بينها وبين ابنتها ثم صاحت فيل تقول:ليس الأمر بمصيبة.سنضطر لاعلان زفافنا في موعد قريب جداً وهذا كل شيء.ما رأيك؟»

سألت كارين مخاطبة جايني.

«أرجو ان يكون والد الطفل مشاركاً فيل رأيها».

أومأت كارين برأسها ثم قالت:

«لعله ثيو كارينغتون.تعرفينه.اتعتقدين انه سيقبل بفكرة الزواج؟ اثارت،مغادرته المرفأ بهذه السرعة الشكوك.فما رأيك؟»

احتقن وجه جايني وجمد الدم في عروقها.واوشكت ان

تغرس اظافرها في وجه كارين فقالت محاولة اخفاء غضبها:

«أولاً لم تذكر فيل اسم ثيو أبداً ولم تقر عن هوية الوالد. أعلم ان خروج فيل برفقة ثيو مراراً في المدة الأخيرة يثير الشكوك لكنني أعلم أيضاً ان لثيو ضميره الانساني وشهامته وليس من عادته القيام بعمل شنيع كهذا».

«أواثقة أنت من ذلك؟»

قالت كارين ثم تابعت:

«أعتقد أنك على صواب. فثيو حريص على سمعته ككاتب مشهور وتبدو عليه القوة والسيطرة الذاتية. شخص مثله لا يوقع نفسه في ورطة كهذه».

نجحت جايني في وضع حد لثرثرة كارين وتشويه اسم وسمعة ثيو. ولا تعلم السبب وراء ثقتها القوية في ان ثيو لا يقدم على عمل كهذا. فهو اظهر خبرة واسعة في معرفة النساء وطباعهن واستطاع ان يرى فيل على حقيقتها. فوراء هذا القناع الجميل المتكلف فتاة تبحث بيأس عن الحنان الذي لم تجده في والديها. لم يسمح ثيو لنفسه بتزويد فيل بحاجتها. ولم يستغل ضعفها لارضاء نزوته. لا شك أنها التجأت الى شخص آخر بعد ان فشلت في الاستيلاء على قلبه.

جايني واثقة تماماً ان لثيو استقامته مما يمنعه من استخدام فيل لمتعته الخاصة ثم نبذها.

الفصل التاسع

استقرت جايني في اوكلاند. ساعدتها حياتها الجديدة على تجاهل انين قلبها. تترنح كلما لمحت عن بعد شاباً اشقر طويل القامة، لكنها ادركت بعد زمن ان ثيو كارينغتون هو الرجل الوحيد الذي احبه قلبها، ولن تستطيع ان تحب اي شخص آخر. ثيو اختفى عن سطح الارض. زار آواكيبو زيارة مختصرة كما اخبرتها امها في رسائلها. جاء ليصطحب كلب جايني المفضل «سيمبا» الذي انقذه مع كلبين غيره على رمال الشاطىء.

بدا عليه التعب قالت امها في الرسالة. لكنه ما زال الانسان نفسه. وقال انه ينوي السفر الى اوستراليا. ومن المتوقع ان يكون كتابه التالي حول هذا الموضوع.

اشترت جايني رواياته وقرأت قسماً منها لكنها وضعتها جانباً مصممة الا تلمسها بعد الآن. يؤلمها جداً احياء ذكرياتها من خلال السطور التي تحتوي كلماته وعباراته وشخصه بتعقيده واتحاد ذكائه وقساوته.

ولشدة دهشتها وجدت جايني انها تتمتع بدراستها في المعهد التجاري. وتخرجت بتفوق. وفي الوقت نفسه كانت العمة كاترين بحاجة الى سكرتيرة تعاونها في

مهماتها. فكان من الطبيعي ان تعطي الافضلية لجايني. رحبت جايني بالعرض خاصة ان عملها يتطلب منها ان ترافق عمتها في سفرها حول العالم. فلمدة سنتين وجدت جايني نفسها تنتقل من بلد الى بلد، من وطن يمزقه الحرب والفقر والتعاسة، الى المؤتمرات العالمية في افخم الفنادق. اذهلتها حياة التنقل هذه لكنها ما فتئت ان اعتادت الامر وركزت جهدها على الافادة من الفرصة السانحة امامها للتعرف على انواع مختلفة من البشر والتقاليد والحضارات. والتقت برجل في لندن احبها وعرض عليها ان تتزوجه. فترددت جايني اذ مازال حب ثيو مطبوعاً في قلبها فارادت ان تأخذ اجازة لتفكر في الموضوع.

قررت العودة الى آواكيبو حيث ستقرر مصيرها. صعقها اختلاف المكان وتطوراته. واستلقت على مقعدها في الشرفة برفقة والديها وقالت:« لم اكن اتوقع ان يتغير المكان على هذا الشكل. لم تذكري لي يا امي ما يجري هنا.»

اجابت امها بلطف:

« لكني اخبرتك عن كل شيء.»

« ربما لم اتصور ان يكون الفرق شاسعاً الى هذا الحد. في اي حال يسعدني وجودي هنا من جديد. الخريف في آواكيبو فائق الجمال. فالنهار متوسط الحرارة والليل منعش وتبدو النجوم اكبر وانقى من اي مكان آخر.»

قال ايين:

« يسعدنا وجودك معنا من جديد ايضاً.»

ثم تابع:«لم اعرفك لقد تغيرت جداً، اصبحت الآنسة انيقة وجميلة جداً.»

ابتسمت جايني ثم عبثت انامل بشعرها قائلة:« والآن ما رأيك يا أبي؟ هل اذكرك بجايني من جديد، بشعرها المهمل وقامتها العوجاء؟»

« لا، ابدا. يسعدني انك تعلمت أخيراً الوقوف مستقيمة. واكتسبت ذوقاً رفيعاً في اختيار الملابس التي تناسب قامتك.»

وقالت امها وابتسامة الفرح بادية على وجهها:« علينا ان نجمع شمل اصدقائك من جديد. على الاقل ما تبقى منهم في هذه الارجاء. كارين ومارك مثلاً سيسرهما الاجتماع بك من جديد. احزنهما عدم قدرتك على حضور حفلة زفافهما. بدت كارين عروساً رائعة. كذلك فاتك عرس بيني. هل قمت بزيارتها خلال مرورك في اوكلاند؟»

« نعم. لا شك ان الحياة الزوجية تلائمها تماماً. جوليان هائم بحبها ويبدو انه جعل منها اسعد امرأة في العالم. وما هي آخر الأخبار المحلية؟»

« لا شيء يجدر بالذكر. تتولى فيل وزوجها مسؤولية ممتلكات عائلة تالبوت بعد ان اصيب والد فيل بنوبة قلبية.»

«وكيف حال فيل وزوجها؟»

« انهما على ما يرام ومتفقان اجمالاً. تعلمين الاشاعة التي سادت في المنطقة حول هوية والد الطفل لكن يكفي ان تلقي نظرة على الولد لتعلمي انه صورة مطابقة لابيه. ابدعت فيل في دورها الجديد كأم وهي زوجة كفؤ ايضاً.»

«والسيدة تالبوت؟»

ضحكت جوي واجابت: « قطعت كل اتصالها بابنتها اولاً حتى ولادة الطفل. فالاحفاد صلة وصل بين الاهل واولادهم.»

«هناك نهاية سعيدة لكل قصة كما يبدو.»

اصبحت جايني حسناء جميلة وانيقة. صففت شعرها تصفيفة حديثة تلائم ملامح وجهها. واكتسبت ثقة قوية في نفسها. ولاحظت انها لاول مرة تنال اعجاب وفخر امها. فغمرها السرور وفكرت ان التغيير الذي طرأ عليها خلال السنتين الفائتتين كان لأجل شخص واحد، ثيو.

وبعد العشاء خرجت جايني الى الشرفة تتأمل النجوم اللامعة في السماء وقررت ان تقصد في اليوم التالي الخليج حيث بنت منزلها الخيالي. وحيث امضت اسعد اوقاتها برفقة ثيو.

وحيث ولد حبها له ولم يزل حياً في قلبها، يسكن اعماقها ولا يفارقها. تراه في عينيها، وفي انعكاس صورتها في المرآة. ويرافقها اينما ذهبت ومهما طال الزمن. كيف لها ان تتزوج شخصاً آخر؟ فالزواج التحام شخصين روحياً وجسدياً. وثيو امتلك روحها وما يزال السيد المستبد في ملكه. عندما تعودالى ذلك الشاطىء العزيز يمكنها ان تصل الى حل نهائي.

وفي صباح اليوم التالي اتجهت جايني بزورقها نحو الخليج. فكرت انه من الممكن ان يكون الشاطىء قد تغير كلياً. ربما لن تجد الاشجار والبساتين على النحو الذي الفته. لكنها كلما اقتربت تضاعفت دقات قلبها. فمن بعد مسافة لاحظت جايني ان الشاطىء لم يتغير ابداً. وعندما اقتربت

اكثر اذهلتها رؤية منزل مبني في مكانها المفضل. امتلأت عيناها بالدموع وهمت بالعودة الى البيت لكنها اخذت فجأة منظار ابيها لترى المنزل بوضوح اكثر. كان بيتاً خشبياً و نوافذه الزجاجية واسعة وطويلة، تحيطه الاشجار من كل النواحي.

اقتربت جايني من الشاطىء وتركت زورقها لتتفقد المنزل عن قرب. جذبها شعور لم تقو على مقاومته. فالمنزل منزلها. يطابق الهندسة التي صممتها ذلك اليوم الذي افترقت فيه عن ثيو. لم يتغير شيء. دخلت المنزل وراحت تتأمل المفروشات القيمة والذوق الرفيع. كانت تملأ البيت تحف شرقية من الطراز الصيني القديم. ابتسمت جايني حين تذكرت حب ثيو للفن الصيني. بات كل شيء حولها اليفاً كما توقعته وكما عهدته ان يكون. فلا شك ان ثيو رجل ثري وما يؤكد ذلك التحف الثمينة النادرة التي تملأ زوايا المنزل. تذكر ثيو جميع التفاصيل التي اتفقا عليها فيما يتعلق بزخرفة المنزل وهندسته. واتضح لها انها لا شك ستراه في اي لحظة.

كانت تقترب ببطء وصمت نحو غرفة المطالعة التي اصر على وجودها. وقبل ان تفتح الباب وقع بصرها على كلب اسود ممدد قرب الغرفة فادركت جايني انه سيمبا كلبها المفضل الذي تولى ثيو امر الاعتناء به خلال السنتين الماضيتين. رمقها سيمبا بنظرة تساؤل ثم اطلق نباحاً مما ادى الى انفتاح الباب وراءه على مصراعيه. خرج منه ثيو. فاصبحا وجهاً لوجه. ظهر على ثيو التعب والارهاق وكأنه امضى سنتين من الاشغال الشاقة. لكن عينيه ما زالتا

عميقتين مفعمتين بالشوق والحب. ولرؤيتها ازداد بريقهما ووقف ثيو لحظة محاولاً استيعاب ما يراه ثم قال:

« جاين ...»

وعانقها بذراعيه بقوة وكأنه لن يدعها ترحل بعد الآن. واشتدت قبضته حولها. ثم ابتعد قليلاً قائلاً:« آسف. هل آلمتك؟»

« لا أبداً.»

اجابت بصوت ناعم. واقتربت منه تلامس شفتيه بأناملها.

فقال:«كدت افقد الامل. لا شك انك اتخذت وقتاً طويلاً لتقرري العودة الي. تركتني اتعذب في جحيم بعيداً عنك.»

«انا؟ آه... انت... انت ...»

وفارقتها الكلمات فابتسمت ثم حاولت من جديد قائلة:

« انت الذي رحلت اولاً وغادرتني. هل تذكر؟ لم اتلق منك اية رسالة ولا حتى بطاقة بريدية. فمن منا المذنب؟»

تمعن ثيو في وجهها دارساً تفاصيله بدقة. ثم عانقها من جديد دافناً رأسها في صدره، راغباً لو يستعيد الوقت الذي هرب من امام حبهما وشوقهما. كانت جايني تستمع لدقات قلبه السريعة. وتشعر بارتعاش جسمه لوجودها قربه. حينئذ فقط ادركت انه فعلاً يحبها.

حملها ثيو بين ذراعيه داخلاً بها غرفة الجلوس والقاها فوق الاريكة. ثم جلس قربها يتأملها بامعان. باتت عيناه وكأنهما تلتهمانها. وضاعت جايني في عالم من السرور والغبطة. كانت قد نسيت الى اي حد يمكن للانسان ان يكون سعيداً. انه ثيو بلحمه ودمه جالساً قربها وفي عينيه يرتسم ما كانت ترجو ان تراه منذ زمن. بريق حب وهيام وشوق

ورغبة لامتلاكها، لجعلها سيدة قلبه وحياته. واخذ ثيو وجهها بين يديه قائلاً:« ليس المكان ولا الزمان مناسبين ليعبر كل منا عن الحب الاسير الذي تجاهلناه لسنتين.»

اجابت جايني هامسة:« حسناً.»

« اذاً لنسيطر على عواطفنا حتى يحين الموعد لزفافنا.»

« ماذا؟ هل تقصد اننا سنتزوج؟»

صاحت جايني بدهشة وكادت ان تطير من الفرح.

« بكل تأكيد.»

اجاب ثيو مبتسماً. واتجه نحو النافذة بينما وقفت جاين وراءه تتأمل جمال المنظر في الخارج. شعرت بسعادة لا توصف. لا شك ان حب ثيو لها قوي والا لما تفجر بهذا العنف وهذا الوضوح. وهي تبادله الحب بالقوة نفسها. ولعل موعد زواجهما سيكون قريباً جداً لأن البعد دام طويلاً وشوقهما لبعضهما لا يقوى على الانتظار بعد الآن. ثم وردت في ذهنها تساؤلات ارادت توضيحها فقالت:« لماذا تركتني بهذه القساوة ياثيو؟ لا شك انك ادركت حبي لك منذ بدايته.»

التفت ثيو نحوها وجذبها اليه مجيباً:« اكيد. علمت بحبك نحوي قبل ان تدركي انت حقيقة هذا الشعور. لكنني كنت خائفاً.»

« خائفاً؟ومم؟»

« نعم. خائف لأني لأول مرة في حياتي وجدت اني احب حباً حقيقياً ولم اعد املك السيطرة على عواطفي. لم يعجبني ذلك ابداً وادركت ان الحل الوحيد لهذا الوضع هو ان ارحل سريعاً وادعك في سلام.»

« ولكن ما هو السبب؟ لماذا شعرت ان لا بد لك من الرحيل؟ كان بوسعنا ان نتزوج منذ عام على الاقل. فها نحن نضيع سنتين من حياتنا.»

« نحن؟ لا يا حبيبتي. انا الذي اضاع عامين من حياته بينما انت رحلت واكتسبت تجارب ومعلومات قيمة ساعدتك على النمو والنضوج.»

« اذاً، هذا ما اردته اليس كذلك؟ اردتني ان ارحل لأنني كنت سانجة وبلا اية خبرة في الحياة.»

« هذا جزء من السبب. كنت طفلة. فتاة في سن الدراسة، لا تعلم بوضوح ما يجري في حياتها. اردتك لي. احببتك حباً عميقاً لكنني اردت ايضاً ان اتأكد من ثقتك بنفسك، بحبك لي، هل تفهمين السبب الآن؟»

اومأت جايني برأسها. اظهر ثيو حكمة وذكاء. حبه لها اقوى مما كان يتوقع. اختار العذاب لنفسه من اجلها. من اجل ان ترى بوضوح حقيقة شعورها نحوه وخاطر بها. تركها ترحل. ربما ادرك انها ستعود اليه يوماً ما. وانهمرت الدموع من عينيها. عانقها ثيو قائلاً:« لم أقصد ايذاءك. بعد ان نتزوج سأبرهن لك عن حبي وحنيني نحوك كما لم افعل من قبل.»

وجفف ثيو دموع جايني ثم همس في اذنها قائلاً:« لكنني اعطيتك فرصة خلال ذهابنا معاً الى اوكلاند ذلك اليوم. فلو لم تصممي بحزم على الالتحاق بالمعهد التجاري لكنت طلبتك للزواج عندذاك. لكني ادركت الآن ان ما فعلته هو الافضل لانك كنت تحتاجين لوقت بمفردك لتقيمي درجة حبك لي وقوته ..»

تذكرت جايني تلك الرحلة وكم قاومت رغبتها في مصارحته بحقيقة شعورها. لكن الندم لا يفيد في شيء وكما قال ثيو ساعدتها السنتان الماضيتان لمعرفة نفسها اكثر. سألها ثيو فجأة:« وهل تروق لك فكرة العيش برفقة انسان بارد وماكر مثلي؟»

«ثيو...»

تنهدت جاين وعانقته بقوة قائلة:« احبك ثيو. واسامحك على العذاب الذي سببته لي لسنتين كاملتين برغم انك حاولت ان تكون نبيلاً تجاهي.»

« نبيل؟»

ونظر ثيو في عيني جاين واضاف:« هذا موضوع آخر. تعرفين القليل عن الماضي الذي عشته قبل لقائي بك. لا ادري اذا اخبرتك بيني، لكنها قالت لي ان ما جذبها إلي كان بالاخص سمعتي الماضية. اما انت فتختلفين عنها. هل يوقع ماضي النفور في نفسك؟»

«شعوري نحو ماضيك ليس شعوراً بالنفور بل بالبغض. اكره التفكيرفي النساء اللواتي تخللهن ماضيك لكن ذلك حصل قبل ان تلتقي بي. فحياتك الماضية بجميع تفاصيلها جعلتك الرجل الذي احببته. فليس عدلاً مني ان اشعر بالبغض بعد الآن بل بالشكر.»

وضحكت جين ثم اضافت:« لا اكترث لعدد النساء اللواتي امتلكنك قبلي مادمت انا المرأة الوحيدة في حياتك منذ الآن.»

ابتسم ثيو واجاب:« اؤكد لك اني بقيت مخلصاً لك منذ لقائي بك.»

رمقته جاين بنظرة تساورها الشك فتابع قائلاً:« الا

تصدقين قولي؟ اتشكين في حقيقة حبي لك؟ لقد جمعنا ارتباط قوي منذ ولادة حبنا لبعضنا. ارتباط اقوى من الوعد والعهود. عندما رأيتك اول مرة تتفقدين شاي التي دخلت حجرة السفينة، ادركت انني وجدت نصفي الآخر.»

تنهدت جاين وعانقته قائلة: «ثيو، حبيبي كم يسعدني هذا الخبر. احبك كثيراً واسامحك على مغادرتي.»

وقاطع سيمبا عناقهما بنباحه الغاضب محاولاً لفت انتباه سيده لوجوده.

ضحك ثيو واخذه بين ذراعيه ثم قال لجاين: «اود لو تمكثين معي. لكن سيمبا على حق. لم يحن الوقت بعد. تعالي لاعرفك على منزلك.»

كان كل شيء يطابق وصف جاين للمنزل الذي تخيلته منذ عامين. تذكر ثيو كل التفاصيل ولم ينس الوانها المفضلة.

«كيف تذكرت كل ذلك؟»

«اذكر كل شيء قلته لي.»

«ادركت حبك لي حين رأيت المنزل. هل علمت بقدومي؟»

ابتسم ثيو واجاب: «كنت انتظرك. تابعت تنقلاتك باستمرار خلال السنتين الماضيتين.»

«كيف؟»

«اسألي عمتك كاترين.»

«آه...»

ادركت جاين ان زيارتها لآواكيبو كانت من تنظيم وتنسيق عمتها بالاشتراك مع ثيو.

«يا لكما من ثعلبين. وهل يعلم والدي بالخبر؟»

«طلبتك للزواج من والدك منذ ستة اشهر بعد ان انتهيت من

بناء المنزل، فكما ترين وقعت في فخ اعدته مؤامرة عائلية.»

بقي امر واحد في ذهنها ارادت توضيحه وهو يتعلق ببيني فسألته: «وماذا عن بيني؟»

«بيني؟»

«نعم.»

كان ثيو يعلم ما وراء تساؤلات جاين.

«اعتقدت بيني انني لعبة اصرت الحصول عليها لارضاء رغبتها الشخصية وكبريائها.»

«أكان من الضروري ان تظهر نحوها اية عاطفة ودية؟»

«لكنها اصرت على ذلك ولم تترك اي خيار. صدها كان سيعقد الامور اكثر ولم تعتد بيني على ان يصدها احد فكان من المهم جداً ان اعالج بلطف ونعومة اولاً. ثم اضع حداً للعلاقة بسرعة ومن دون اي تعقيد.»

«لكنك اسأت اليها.»

«ربما كان تصرفي نحوها قاسياً لكن الوقت لم يساعدني على التصرف بأية طريقة اخرى. كان علي ان ارحل بسرعة.»

وساد الصمت بينهما لفترة. كانت جايني مستغرقة في التفكير.

لم يعد الماضي مهماً بعد الآن، وبداية جديدة تنتظرهما. احبها ثيو وامضى سنتين وهو ينتظر بصبر عودتها اليه وحياتهما معاً. ونظر اليها ثيو وسأل: «اذاً؟»

«كل شيء على ما يرام.»

«حسناً. لا مفر لك بعد الآن. سأتبعك الى آخر العالم لو احتاج الامر.»

ابتسمت جاين وفكرت في ذهنها ان ثيو اظهر اخيراً انه

انسان ضعيف امام عواطفه وحبه ومهما بين عن قوة شخصية وصلابة ارادة لا يزال قلبه ينتصر على عقله ويتغلب على كبريائه وغطرسته.

« هيا لنذهب ونواجه اهلك بالخبر.»

واتجها معاً الى الخارج ووقفا يتأملان الافق وقال ثيو:« عالي يا حبيبتي. تنتظرنا حياة سعيدة ومستقبل زاهر.»

امسك بيدها ومشيا معاً في ظل الاشجار وبريق الشمس. وغمر قلب جاين شعور بالطمأنينة والراحة.

انتهى النزاع والالم ومات القلق وتلاشت المرارة. واصبح كل شيء في مكانه. كونهما معاً حقيقة اقوى من الواقع نفسه.

تـــــــمت

www.liromancia.com